أَحْسَنُ القَصَصِ لِلفِتْيَانِ



اسم الكتاب : أحسن القصص للفتيان
إعداد الأستاذ : عادل فتحي عبد الله
رقم الإيداع : ١٣٤٧٦ / ٢٠١٤
نوع الطباعة : لون واحد
عدد الصفحات : ٢٨٠
القياس : ١٧×٢٤
تجهيزات فنية : مكتب دار الإيمان
أعمال فنية وتصميم الغلاف أ. يسري حسن

٢٠١٦

الإدارة

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس ٥٤٥٧٧٦٩، - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات
دار القمة
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس ٥٤٥٧٧٦٩، - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail
dar_aleman@hotmail.com

أحسن القصص للفتيان

قصة الكعبة المشرفة — قصة إسماعيل الذبيح
قصة أصحاب الأيكة — قصة أيوب الصابر
قصة سفينة نوح — قصة بني إسرائيل والعمالقة
قصة صاحب الجنتين — قصة عصى موسى
قصة هُدهُد سليمان — قصة يأجوج ومأجوج
قصة هاروت وماروت — قصة برصيصا العابد
قصة تسعة رهط يفسدون — قصة طالوت وجالوت

قصة أصحاب الكهف

عادل فتحي عبد الله
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين






بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي جعل لنا من قصص السابقين عبرة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ ، جاء بخير رسالة وفكرة ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ....

وبعد :

فهذه باقة من بستان سلسلة أحسن القصص للفتيان فيها العبرة والعظة ، نشم منها رائحة الإيمان بالله تعالى وتوحيده ، والإخلاص له ، وحب الخير لبني آدم جميعاً ودعوتهم إليه، وموالاة المؤمنين ونصرتهم، والوقوف أمام الكافرين ودعوتهم إلى الإيمان

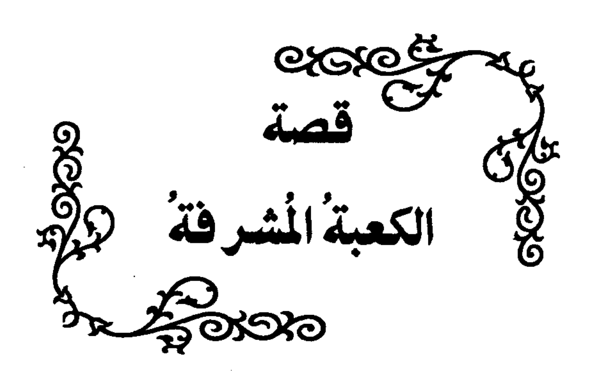
بالحكمة والموعظة الحسنة ومجادلتهم بالتي هي أحسن .

وشكر نعمة الله تعالى على عباده جميعاً ، وهي لا تعد ولا تحصى ... ونهدي هذا كله لأبنائنا أشبال المسلمين وشبابهم ، عسى الله أن يجعل على أيديهم نصرة الحق ورفعة شأن الأمة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عادل فتحي عبد الله

عفا الله عنه



قصة
الكعبة المُشرفةُ

قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) ﴾ .

[البقرة : ١٢٧ ، ١٢٨] .



أولَ مسجدِ وُضِعَ للنّاس

الكعبـةُ بيتُ الله الحـرامِ هي أولَ بيتٍ وضعَ للنَّاس للعبـادة ، قـال الله تعـالى : ﴿ **إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ** (١) **مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ** (٩٦) ﴾ .

[آل عمران : ٩٦] .

وقد سُئِل (٢). رسـول الله ﷺ عن أوَّلِ مسـجدٍ وُضِعَ للنَّاس، قال عليه السلام : « **المسجدُ الحرام** ، قيل : ثمَّ أي ؟! قال : **المسجدُ الأقصى** ، قِيل : كم بينهما ، قال عليه السلام : **أربعون سنةً** » .

وأولُ من بنى الكعبـةَ المشـرفَـة - بيتَ الله الحـرام - إبراهيم عليه السلام خليلُ الرَّحـمن ، فـقـد أرشـده الله عـزَّ وجلَّ إلى مكان بناءها، قـال الله تعـالى : ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ**

(١) بكة : اسم من أسماء مكة .

(٢) الحديث رواه البخارى ومسلم بنحوه .

مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾ [الحج : ٢٦] ، ومعنى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا ﴾ ، يعنى أرشدناه إلى مكانه ، ومكان الكعبة يتميز بميزات كثيرة أهمها وأعظمها أنَّه بُنِيَ في مكانٍ هو حيال « البيت المعمور » الذي هو في السماء السابعة والذي هو أعظمُ البيوتِ ، وتحت هذا البيتِ في كل سماءٍ بيت آخر يُعبدُ الله فيه أهلُ كلِّ سماءٍ ، فكان أنْ أمر الله إبراهيمَ عليه السلام ببناءِ الكعبة في ذلك المكانِ من الأرض بالتحديدِ لكونه حيال البيتِ المعمورِ والبيوت الخاصة بعبادة أهل السماوات السبع في كلِّ سماءٍ ولتكريم هذا البيتِ العظيمِ جعل الله عزَّ وجلَّ البلدَ التي بُنِيَ فيها وهى« مكةَ» حرماً آمناً .

قال الله عن أهلِ مكةَ : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت : ٦٧] .

قال رسول الله ﷺ : « **إنَّ الله حَرَم هذا البلد يومَ**

خلق السماوات والأرضَ فهو حرامٌ بحرمةِ الله إلى يوم القيامة ، وإنَّه لم يحل القتال فيه لأحدٍ قبلي ، ولم يُحلِ لي إلا ساعة من نهارٍ ، فهو حرامٌ بحرمةِ الله إلى يوم القيامة ، لا يعْضُد شوكهُ ، ولا ينفر صيدهُ ،و لا يُلتقط لُقطتهُ ، إلا من عرَّفها ولا يختلي خلاها »(١)

(١) رواه البخارى ومسلم .

قصة بناء الكعبة

لَمَّا كَبُرَ إسماعِيلُ عليه السلام واشتدّ ساعدُه ، وكان قد نشأ وترعرَعَ حول مكانِ البيتِ الحرامِ ، وبئر زمزمَ في بلدِ الله الحرام - مكة - بين قبيلةِ جُرْهُم والعماليق ، وكان أبوه إبراهيمُ عليه السلام يزورُه بين الحين والآخر ، وفي إحدى زياراتِه - وكان قد أوحى الله إليه ببناء الكعبة - أخبر إسماعيل بذلك ، ليكونَ له نعمَ المُعينُ ، على بناءِ بيتِ الله الحرامِ ، ويكونُ له الأجرُ العظيمُ والثوابُ الجزيلُ .

فما كان من إسماعيل عليه السلام إلا أنْ يلبّي نداءَ الله تعالى مع والدِه ليقومَ بمساعدتِه في بناءِ ذلك البيت العظيم ، وأخذ إسماعيلُ يعطى الحَجر لأبيه إبراهيم عليه السلام ، وإبراهيم عليه السلام يقوم بالبناء ، وكان سلوتهُما في البناء دعاءَ الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) ﴾ [البقرة: ١٢٧] ، واستمرَّ في البناء حتى بَلغا القواعد ، ولما علا البناءُ جاء إسماعيلُ عليه السلام بحجر ليضعهُ تحت قدم أبيه حتى يرتفعَ عليه فيطولَ البناءُ ويستكملَهُ ، ومن آيات الله تعالى أن هذا الحجَر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام لم يزلْ فيه آثارُ أقدام إبراهيم عليه السلام قروناً طويلةً ، وهو يُسمَّى « مقام إبراهيم » ، وقد أمرنا الله تعالى بالصلاة عنده، قال تعالى: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، وكان هذا الحجر مُلتصقاً بالكعبة حتى عَهدَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر أن يؤخَّرَ قليلاً عن البيت حتى لا يُشغل المصلون عنده الطائفين بالبيت .



واستمرّ إبراهيم عليه السلام في البناء وإسماعيلُ عليه السلام يساعدُه حتى بلغا القواعدَ وبنيا الركنَ ، قال إبراهيمُ لإسماعيلَ : يا بُنيَّ اذهبْ فأحضرْ لي حَجَراً حسناً أَضعهُ هاهنا ، فردَّ عليه إسماعيلُ قائلاً : يا أبتِ إنِّي تعبتُ ، ثمَّ انطلقَ ليحضرَهُ ، فجاءَ جبريلُ عليه السلام « ملك الوحى » ، بالحجر الأسودِ من الهنْد ، وكان أبيضَ وكان آدمُ قد هبطَ به من الجنَّة هكذا ثمَّ اسودّ من خطايا النَّاسِ وذنوبِهِم ، وعندما جاءَ إسماعيلُ بالحجرِ وجد ذلك الحجرَ الأسودَ ، فقال مُتعجباً : يا أبتِ من جاءَكَ بهذَا ؟!، قال : جاءَ بهِ من هُوَ أنشطُ منك ، إنَّه رسولُ الوحيِّ « جبريل » عليه السلام ملكٌ من الملائكة المقرَبين .

ثمَّ أتمَّ إبراهيمُ بناءَ البيت وإسماعيلُ ، وجمَّلاهُ وكمَّلاهُ كما أرادَ الله تعالى ، وعندئذ أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أنْ يؤذّنَ في النّاسِ بالحجِّ لهذا البيت .

الحـــرامِ ، قــال الله تعــالى : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً (١) وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ (٢) يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) ﴾ [الحج : ٢٧] .

قال إبراهيمُ عليه السلام :

يارب كيف أبلغُ النَّاسَ وصوتي لا ينفذهم؟ ، قال : ناد وعلينا البلاغُ ، فصعَد إبراهيمُ عليه السلام على الحجر وقال : أَيُّها النَّاسُ إنَّ ربَّكمُ قد اتَّخذَ بيتاً فحجُّوه ، فيُقالُ أنَّ الجبالَ تواضَعتْ حتى بلغَ الصوتُ أرجاءَ الأرض ، وأسمعَ منْ في الأرحامِ والأصلابِ وأجابهُ كلُّ شيءٍ سمَعهُ من حجرأو مدرٍ أو شجرٍ وكلُّ من كُتِبَ له الحَجَّ إلى يوم القيامة « **لبيكَ اللهمَّ لبيكَ** » .



(١) رجالاً : يعني يمشون على أرجلهم .
(٢) على كل ضامر : راكبين الدواب وغيرها .

قريش تعيدُ بناءَ الكعبةِ

وقد ظلّتْ الكعبةُ المشّرفةُ التي بناها الخليلُ إبراهيمُ وابنهُ إسماعيلُ - عليهما السّلامُ - عظيمةً في قلوب النَّاسِ جميعاً تهفوا إلهيا من كلٍّ فجٍ عميقٍ ، فلتشتاقُ إليها النُّفوسُ ، وتحسُّ لها القلوبُ ، فكلٌّ من زارها تقعُ في قلبه موقعَ العظمةِ والهيْبةِ والروْعةِ والإجْلالِ وما يكادُ يتركُها ويرحلُ عنْها حتى تشتاقَ نفسُه للرجوعِ إليها مرةً ثانيةً ، وسيظلُّ هذا إلى يومِ القيامةِ إنْ شاءَ الله ، لأنَّ ذلك دعوةُ إبراهيم عليه السلام حين قال : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .

وْعدُ الله له حينَ أمرهُ أنْ يؤذنَ في النَّاسِ بالحجِّ فيأتونَه من كلِّ فجٍّ عميقٍ ، ومع مرورِ الأيامِ وتتابع الزمانِ اعترى

الكعبَة كثيرٌ من التغيُّراتِ وتأثَّرَ بناؤُها بعوامل التعرية والرياح وغيرها ، وإن قريشاً تعظيماً للبيتِ أرادت أن تعيدَ بنائَه وتكمّله وتجملَّهُ كما كانَ من قبل ، لكنَّها خافتْ من هدم الكعبة إلى الأساسِ أنْ يكونَ في ذلك غضبٌ لله تعالى ، وأحجَمَ النَّاسُ عن الهدْمِ ، كلٌّ يخاف أنْ يصيبَهُ شرٌّ ، إلى أنْ قامَ الوليدُ بنُ المغيرة فقال : أنا أبدؤكم في هدْمِها ، فأخذَ المعْوَلَ ثمَّ قامَ عليها وهو يقولُ : اللهمَّ لم تُرَعْ ، اللهمَّ إنَّا لا نريدُ إلاَّ الخيرَ ، ثمَّ هدمَ من ناحيةِ الركنيْن ، فتربصَ النَّاسُ تلك الليلة وقالوا : ننظرُ فإنْ أُصيبَ لم نَهدِمْ منْها شيئاً وردَدْناها كما كانَتْ ، وإنْ لم يصبْهُ شيءٌ فقد رضىَ الله ما صنَعْنا ، فأصبحَ الوليدُ من ليلتهِ غادياً على عملِه ، فهدمَ وهدَمَ النَّاسُ معَهُ ، حتى إذا انتهى الهدمُ بهم إلى الأساسِ ، أخذوا يجمعونَ الحجارةَ لبناءِها ، وأخذوا في بناءِها كلٌّ قبيلةٍ أخذت تبني

جانباً منها حتى إذا وصلوا موضعَ الحجرِ الأسودِ اختصمُوا فيه ، كلٌّ قبيلةٍ تريدُ أنْ ينالَها ذلك الشرفُ العظيمُ وهو حملُ هذا الحجرِ ووضعهُ في مكانِه ، حتى كادَ الأمرُ يصل بينهم إلى حدِّ الإقتتالِ ، ثمَّ انتهوا إلى رأيٍ وهو أنْ يحكِّموا في ذلك أولَ من يدخُلُ من بابِ المسجدِ .

محمد رسول الله ﷺ يضع الحجر بيده الكريمة :

فكانَ أولُ من يدخل هو محمدُ بن عبدِ الله ﷺ وكانَ ابنَ خمسة وثلاثين سنةً ، فكان ذلك قبل بعثته بخمس سنين، وكان عليه السلام ملقَّباً في قومِه بالصادقِ الأمين ، فقَالُوا حين رأوْه واستبشرُوا : هذا الأمينُ محمدُ ثمَّ حكَّموُه عليه السلام في الأمر ، فكان حكمه الصائب هو : أن يوضع الحجر في حجره عليه السلام وتأخذَ كلٌّ قبيلةٍ بطرفِ ثوْبِهِ ثمَّ يرفعوُه جميعاً حتى إذا بلغوُا به موضعه وضعه ﷺ بيده ثم بنَى عليه .

وكانت الكعبةُ في ذلك الوقتِ تبلُغُ ثمانيَ عشرَ ذراعاً، وظلَّت الكعبةُ هكذا حتى احترقتْ عام « ٦٠ » من الهجرةِ، وكان ذلك في عهْدِ خلافة « يزيد بن معاوية ».

وكان ابنُ الزبيْر أميراً عليها حينئاك، فأمَر بهدْمِها إلى الأرضِ ثمّ بنائها على قواعدِ إبراهيمَ عليه السلام وأدخلَ فيها الحجْرَ وجعلَ لها باباً شرقياً وباباً غربياً ملتصقين بالأرض كما سمع ذلك من خالته - أمِّ المؤمنين عائشةَ - رضي الله عنها، فقال: إنِّي سمعتُ عائشةَ رضي الله عنها تقول: إنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: « **لولا أنَّ النَّاسَ حديثُ عهدهم بكفرٍ وليس عندي سمن النفقةِ ما يقوِّيني على بناء البيتِ ـ الحرام ـ لكنتُ أدخلتُ فيه من الحِجْرِ خمْسَةَ أذراعٍ ولجعلتُ له باباً يدخل النَّاسُ منه وباباً يخرجُ النَّاسُ منه** »[1].

---

(١) رواه مسلم ومثله في البخاري.

وذلك لأنَّ قريش حين بنتِ الكعبةَ مرةً ثانيةً قصُرَتْ بها عن قواعد إبراهيم عليه السلام وجعلتِ الحِجْر خارجَها ، وكان ﷺ يُريدُ أنْ يردَّها إلى قواعدِ إبراهيم ويجعلَ الحِجْرَ داخلَها كما كانتْ من قبل لولا الخوفُ على قريش من الفتنة لحداثة إسلامِهِم وقُربِهِم من الجاهلية .

وبعد إمارة ابنِ الزُبَيْرِ وقتلِهِ ،كتب الحجَّاجُ إلى الخليفةَ عبد الملك بن مروان بما كان قد فعلهُ ابنُ الزُبَيْر في الكعبةِ ، فأَمَرَهُ الخليفةُ أنْ يردَّ الحجْرَ كما كان ويسُدَّ البابَ الذي فتحه ابنُ الزُبَيْر ، فأعاده الحجاج إلى بنائه كما كان ، وذلك لأنَّهم ظنُّوا أنَّ ابنَ الزُبَيْر فعلَ هذا التغييرَ من تلقاءِ نفسه ولم يصلْهُما أنَّ هذا الذي فعلَهُ إنَّما أرادَ أنْ يفعلَهُ رسولُ الله ﷺ حالَ حياتِه كما ذكرنا .

وحين عَلِمَ الخليفةُ بحديث رسول الله ﷺ نَدِمَ على ما فعله الحجَّاجُ وقال : ودَدْنا أنْ تركناهُ وما تولَّى .

وفي عهْدِ الخليفة العباسيِّ هارون الرشيد أرادَ أن يعيدَ بناءَ الكعبة كما فعلها ابنُ الزُبَيْر ، فاستشارَ الإمام مالك في ذلك فقالَ الإمامُ: « يا أميرَ المؤمنينَ لا تجعلْ كعبةَ الله ملعبةً للملوكِ لا يشاءُ أحدٌ أن يهدمَها إلا هدَمَها» فتركتْ هكذا .

فهي هكذا بصُورتِها التي كانتْ على عهْدِ رسولِ الله ﷺ إلاَّ أنَّ قد زِيدَ في طولِها ، وفي كسوتِها ، لكنْ لا يزالُ الحجْرُ خارجَها وعلى من يطوفُ بها أنْ يطوفَ من خارجِ الحجْرِ ولا يدخلُه في الطوّافُ لأنَّه من البيتِ ، والطوّافُ يكونُ حَوَلَ البَيتِ، هذا وإنَّ الله تعالى عظَّم مكانَ إبراهيم عليه السلام أولَ من بنى الكعبةَ فجعل منزلَه ومكانَه في السماوات العُلَى عندَ البيْتِ المعْمُور في السماءِ السابعة والذي يدخُله كلَّ يوم سبعُون ألف ملكٍ يتعبدون فيه ثمَّ لا يعودُون إليه إلى يومِ القيامة ، وعظَّمَ مكانَ البيْتِ في قلوبِ المؤمنينَ وفرضَ علينا الحجَّ إليه مرةً واحدةً

في العُمْرِ لمنِ استطاعَ إليه سبيلاً ، فيطوفُ بالبيتِ سبعةَ أشواطٍ ، ويصلّي عنـده فيتّخـذَ من مقامِ إبراهيم مصلّي ، قـال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

وسنَّ لنا العـمـرةَ في أىِّ وقتٍ مِنَ العـامِ ، وقـال : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ٩٦] .

وستَظلّ الكعبةُ « البيت الحرام » لها أعظمُ المكانةِ في قلوبِ المؤمنينَ إلى أن يرثَ الله الأرضَ ومن عليـهـا ، وإلى أن يأتي رجلٌ من الحبَشة من المفسدين فيخرٌ بهـا ، قـال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ : « **يخرِّبُ الكعبةَ ذُو السويقَتينْ من الحبشة** »[1] .

وقال: « **كأنّي بهِ أسودَ أفْجَ يقلعها حَجَراً حَجَراً** »[2]، ويكونُ ذلكَ فِي آخرِ الزمانِ .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه مسلم .

العبر والعظات :

[١] الكعبة المشرفة هي أعظمُ بيوتِ الله في أرضِ الله ، والصلاةُ في المسجدِ الحرامِ بمائة ألفِ صلاةٍ فيمن سواه ، وحج البيتِ الحرامِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ بالغٍ عاقل قادرٍ ، والطوافُ بالكعبة ركنٌ في الحجِّ والعمرةِ ، والكعبةُ المُشرفةُ هي قِبْلَةُ المُسْلِمينَ في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها ، يتجهُون إليها في صَلَواتِهم في الفرائض والنوافلِ .

[٢] البيتُ الحرامُ حرمٌ آمن ، والبلدُ الحرامُ حرمٌ آمن كذلك ، يحْرُمُ فيه القتالُ ، أو صيدُ طيرِهِ ، أو التقاطُ لُقْطتهِ ، وذلك مُنْذُ خلقَ الله السماوات والأرضَ ، كما تهفوا إليه قلوبُ النَّاسِ من كلِّ مكانٍ وهذا إستجابةً لدعوةِ إبراهيمَ عليه السلام .

[٣] المسجدُ الأقصى هو ثاني مسجدٍ بُنِيَ لله تعالى

في الأرض كما جاءَ في الحديث الذي ذكرْناه ، حين سأَلَ أبو ذرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله ﷺ عن أوَّل مسجدٍ وُضِعَ للنَّاسِ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : « **المسجدُ الحرامُ** » ، قال : ثمَّ أي ، **قال** : « **المسجدُ الأقصى** » ، قال : فكم بينَهُما ؟ ، **قال** : **أربعونَ سَنَةً** » [1] .

وعلى ذلكَ فإنَّ له المنزلَة العظيمةَ في قلوبِ المسلمينَ جميعاً ، وقد أُسرِيَ إليه برسولِ الله ﷺ ، وصلّى بجمعٍ من الأنبياءِ هناك ، وعليه فإنّ تخليصَ المسجد الأقصى من أيدِي اليهودِ المسيطرينَ عليه الآنَ واجبٌ على كلِّ مسلمٍ موحِّدٍ قدْرَ استطاعتِه .

[٤] الكعبةُ المشرفةُ لها حرمةٌ عظيمةٌ ولكنَّ حرمةَ المسلمِ أعظمُ عندَ اللهِ من حرمةِ الكعبةِ ، فقد حرّمَ الإسلامُ قتلَ المسلمِ أو أخذَ مالَه من غير حق ، قال ﷺ : وهو

---

(١) الحديث فى الصحيحين .

يطوفَ بالكعبة : « ما أطيبَك وأطيبَ ريحُك ، ما أعظمَك وأعظمَ حرمَتك ، والذي نفس محمدٍ بيدهِ لحرمةُ المؤمنِ أعظمُ عند الله تعالى حرمةً منك مالهُ ودمُه ، وأن يُظَنَّ به إلاَّ خيراً » [1] .

(١) رواه ابن ماجه .

أسئلة :

[١] من أولُ من بنى الكعبةَ ؟ اذكرْ منَ القرآنِ ما يدلُّ على ذلك .

[٢] ما هو ثاني مسجدٍ بُنِيَ بعد الكعبةِ ؟ وكم كانَ بينهُما وأينَ يقعُ هذا المسجدُ ؟ ومن يتحكمُ فيه الآن؟! .

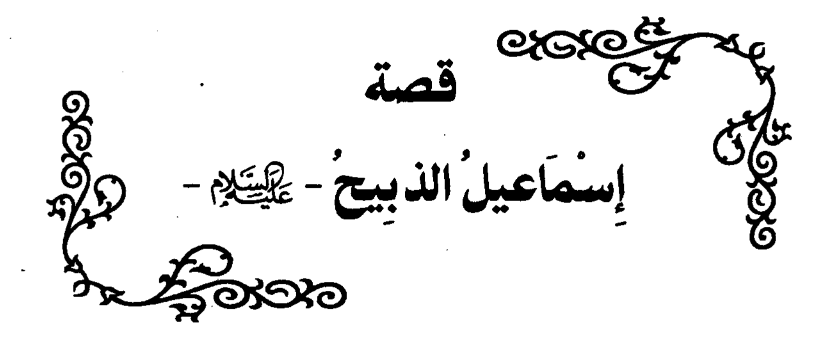
[٣] بماذا كانَ يدعَو إبراهيمُ وإسماعيلُ أثناءَ بناءَهُمَا الكعبةِ ؟.

[٤] من الذي جاءَ بالحَجَرِ الأسودِ؟! ومن أينَ جاءَبِهِ ؟.

[٥] ماذا يعني أنَّ مكةَ بلدُ الله الحرام ؟! .

[٦] هل الطوافُ حولَ الكعبةِ سُّنةَ في الحَجِّ والعُمْرةِ ؟!.





قصة
إسماعيل الذبيح - عليه السلام -

قال الله تعالى :

﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) ﴾

[الصافات : ١٠١ - ١٠٧] .



البداية :

إسماعيلُ عليه السلام هو ابنُ خليل الرَّحمن إبراهيم عليه السلام، وقد رُزقَ بِه خليلُ الرَّحمنِ بعدَ أن طعنَ في السنّ ، وكَانَ قد بلغَ ستاً وثمانينَ سنةً ، لقد كَانَ مولدُ إسماعيل فرحةً عظيمةً دخلت قلبَ أبيه إبراهيم عليه السلام ، لأنَّه كَانَ يتمنَّى أنْ يرزقَه اللهُ بولدٍ صالحٍ ، ودَعَا اللهَ بهذا قائلاً : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الصافات : ١٠٠] ، فاستجابَ اللهُ دُعَاءَهُ وبشَّرهُ بإسماعيلَ عليه السلام ونعتَهُ (١) بالحِلْمِ ، فقَالَ جلَّ شأنَه : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات : ١٠١] .

لقد كَانَ إسماعيلُ قُرةَ عين والديْه إبراهيم عليه السلام وهَاجَرُ ، ولقدْ نشأَ إسماعيلُ وترعرعَ في مكةَ البلدِ الحرامِ الآمنِ المطمئنّ ، بين قبائلَ عربيةٍ أصيلةٍ هم قبَائَل

(١) نعته : وصفه .

« جُرهم » ، وذلك بَعْدَ أن أصبحَ الوادي القفرُ يرقُصُ فرحاً ببئرِ زمزمَ ؛ التي بعثتْ فيه الحياةَ بعد الموتِ ، والتي كانتْ استجابةً لدعوة خليل الرَّحمنِ إبراهيم عليه السلام حين قَالَ : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ، وذلك حين تَرَكَ إبراهيمُ عليه السلام ابنَهُ إسماعيلَ وزوجتَهُ هاجرَ في ذلك المكانِ ورحلَ عنهم استجابةً لأمرِ الله تعالى ، حتى يقومَ بواجبِ الدَّعوةِ إلى اللهِ التي كلَّفه اللهُ بها ، نشأَ إسمَاعيلُ في هذا المكان الآمن - بلد الله الحرام - .

ومرَّتْ الأعوامُ والسنونُ ، وكَبُرَ إسماعيلُ وأصبحَ فتىً يافعاً ممتلأً بالحيويةِ والنشاطِ ، وكَانَ يمتازُ بالصدقِ والأدبِ الجمِّ ، والخُلقِ الرفيعِ ، واحترامِ الكبيرِ ، وبرِّ

الوالدين ، وكَانَ إبراهيمُ عليه السلام يقـومُ بزيارةِ ابنه وزوجتـه بينَ الحينِ والآخرِ ، ليطمئنَّ عليهما وعلى أحوالِهما ، ولينصَحَهُما في الله تعالى ، وفي إحدى زياراته إليهما رأى فيما يرى النائمُ شيئاً عجيباً ، ترى ماذا رأى إبراهيمُ عليه السلام في منامِهِ ؟!! .

الإمتثالُ لأمرِ الله تعالى :

لقـدْ رأى إبراهيمُ عليه السلام في منامـه أنَّه يذبحُ ابنَهُ إسماعيلَ !! ، ورؤيا الأنبياءِ وحيٌ ، يعني أنَّ هذا أمرٌ مِنَ الله تعـالى لخليله إبراهيمَ عليه السلام بأن يقـومَ بذبحِ ابنِهِ ، ويجيءُ هذا الأمرُ في وقتٍ أصبحَ فيه إسماعيلُ عليه السلام شاباً فتيّاً ملءَ السمع والبصرِ ، إنّهُ الآن يحتلُّ المنزلةَ الكبيرةَ في قلبِ أبيهِ ، إنَّه ثمرةُ فؤادِهِ ، وفلذةُ كبدهِ ، إنَّ هذا اختبارٌ قـاسٍ وبلاءٌ عظيمٌ ، لنبيٍ من الصديقين ولابنٍ صادق الوعدِ ومن المقربين .

ماذا يفعل إبراهيم عليه السلام إذاً ؟ أيأخذُ ولدَهُ على غرّةٍ فيذبحُه ، حتى لا يشعرَ الولدُ، ولا تتأثرَ نفسهُ بهذا الأمرِ ؟ أم يُخبرُ ولدَه بأمرِ الله تعالى ، حتى يكونَ على استعدادٍ ويساعَدهُ في الامتثالِ لأمر الله تعالى ؟! .

لقد كانَ اختيارُ إبراهيم عليه السلام أنْ يُخْبرَ ولدَهُ إسماعيلَ بالأمر لينظرَ ماذا يرى إسماعيلُ ، فأخذَهُ منَ يده و : ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ فماذا كَانَ ردُّ ابنه إسماعيلَ عليه السلام ؟،لقد كانت مفاجأةً ، وأيُّ مفاجأةٍ أشدّ على قلبِ الإنسانِ من الموتِ ؟ كما أنَّ هذا ليس موتاً عادياً إنه ذبحٌ،ومَنْ الذي سيذبحهُ؟، إنَّه أبوه أحبُّ النَّاس إلى قلبِه ، وأبوُه هذا ليس رجلاً عادياً حتى يقولَ إنَّه هرَم [1] ، ولا يدري ما يقول ، كلا ولكنَّه نبيٌّ مرسلٌ وموحى إليه مِنْ قِبَلِ الخالقِ جلّ وعلا .

---

(١) هرم : كبر في السن .

هل صُدِمَ إسماعيلُ مِنْ هَوْل المفاجأة فأغْشِيَ عليه؟!، هل هربَ من أبيه جزعاً من الموتِ ؟ ، كلا ، كلا ، إنَّ شيئاً من هذا لم يحدث ، إنَّهُ لم يكنْ شاباً مدلَّلاً ، لقد كَانَ رجلاً بمعنى الكلمة ، متحمِّلاً للمسئوليَّة ، لقد تربَّى على الإيمانَ باللهِ تعالى والامتثالِ لأمرِ الله ، وبرِّ الوالدين ، وفعلِ الخير ، لقد قال لأبيه في بساطة المؤمن الواثق بربِّه : ﴿ **يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ .

وما كَانَ مِنْ إبراهيمَ عليه السلام تجاه هذه الإجابة الشافية المطمئنة، إلا أنْ يحمدَ اللهَ تعالى أنْ وهبهُ ولداً صالحاً مؤمناً بربِّه واثقاً فيما عند الله ، وأنْ يقومَ بتنفيذ أمر الله تعالى، فأخذَ إسماعيلَ عليه السلام إلى مكانٍ بعيدٍ ووضعه على صخرةٍ، وأدارَ وجَهه إلى الناحية الأخرى ، حتى لا يراهُ وهو يذبحهُ فتأخُذهُ الشفقةُ والرحَمَةُ فيكفَّ عن الذَّبحِ ويعصى أمرَ الله تعالى، وشحذَ السكينَ ، ثمَّ همَّ بذبحِ إسماعيلَ عليه السلام .

الفــداء

ووضــعَ إبراهيمُ عليه السلام السكينَ على رقبة ابنه إسماعيل ليذبَحهُ ، فإذا بالسكينِ لا تعمل عملَها ، إنَّها لا تفعلُ شيئاً ، لا تذبحُ ، ولا تؤثِّرُ في رقبة إسماعيلَ أىَّ تأثيرٍ ، وإذا به يسمعُ صوتاً منَ السماء يقولُ: ﴿ **يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧)** ﴾ ، إنَّه ما كَانَ اللهُ ليدعَ إبراهيمَ عليه السلام يَذبحُ ابنَهُ وإنَّما كَانَ المرادُ فقط من الوحى اختبارَ إبراهيم عليه السلام وابنَهُ إسماعيلَ ، هل سوف يمتثلان لأمرِ الله تعالى أم لا ؟!!.

وكان أنْ نجحَ كليهما ، نجحا في الاختبارِ واستحقَّا النبوَّةَ والرفعةَ في الدرجاتِ العُلى في جنةٍ عرضُها السماواتُ والأرض ، ولذلك كان الفداءُ ، وهو كبشٌ

أبيض ، أعين (١) ، أقرن (٢) ، كان يرى في الجنَّة منذ أربعينَ خريفاً(٣)، أنزلَه اللهُ ليكونَ فداءاً لإسماعيلَ عليه السلام، فيُذْبح بدلاً منه ، فأخذَهُ إبراهيمُ عليه السلام وقَامَ بذبحِه، ليكونَ قرباناً لله تعالى ، يأكلُ مِنْ لحمه الفقيرُ والمسكينُ، ثمَّ أصبحَ هذا الأمرُ سُنَّةً عندنا نحنُ المسلمين أمَّةَ رسول الله ﷺ ، وهو يُسمَّى بالأضحيةِ فكل مستطيعٍ عليه أنْ يذبحَ كبشاً فداءً ، اقتداءً بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، ويوزع هذا الكبشَ على فقراءِ المسلمين وعلى الأهلِ والأصحابِ ويأكلُ منه صاحبُه ، فيقسِّمُه ثلاثةَ أقسامٍ ، ثلثاً لأهله ، وثُلُثاً لأصحابه وذوي رحمِه ، وثُلُثاً للفقراءِ والمساكين ، وهذه شعيرةُ عيدِ الأضحى المبارك ، إنَّها الأضحيةُ ، وهي فرحةُ المسلمينَ عامةً .

---

(١) أعين : عظيم سواد العينين .

(٢) أقرن : كبير القرنين .

(٣) خريفاً : سنة .

هذا وقد زعمَ طائفةٌ مِنَ اليهودِ أنَّ الذي أمَرَ الله إبراهيمَ بذبحه هو إسحاق وليس إسماعيل ، وهذا خطأٌ كبيرٌ ، فإنَّ ظاهرَ كتابِ الله تعالى يدلُّ على أنَّ المقصود بالأمرِ هو إسماعيلُ عليه السلام ، لأنَّه هو أولُ أبنائه وهو المبشَّرُ به أولاً قبل إسحاق ، حيثُ أنَّ اللهَ تعالى بشَّرهُ بإسحاقَ بعد أربعة عشر عاماً من مولدِ إسماعيل عليه السلام ، فقد ظلَّ إسماعيلُ الابنَ الوحيدَ لإبراهيمَ عليه السلام طيلةَ أربعة عشر عاماً ، وقَدْ افترى اليهودُ هذه الفريةَ [1] ، حسداً من عندِ أنفسهم لنا نحنُ المسلمين ، لأنَّ إسماعيلَ عليه السلام هو أبو العرب الذينَ منهم خاتم النبيين والمرسلين محمدٌ ﷺ ، وإسحاقُ عليه السلام هو أبو يعقوب « إسرائيل » الذي هم بنوه ، فأرادوا أنْ يُنسحبَ هذا الشرفُ عليهم ، فحرّفوا كتبَهُم وذكروا أنَّ الذبيحَ هو إسحاقُ عليه السلام وليس إسماعيلَ عليه السلام ، وقَدْ سألَ

---

(١) الفرية : الكذبة .

الخليفةُ عمر بن عبد العزيز عليه السلام أحدَ علماءِ اليهود الذين أسلموا ، فقال له : أيُّ ابنيّ إبراهيم أُمِرَ بذبحه ؟! ، فقالَ الرجلُ : إسماعِيلُ والله يا أميرَ المؤمنين ، وإنَّ اليهودَ لتعلمُ ذلك ، ولكنَّهم يحسدونكم ، على أن يكونَ أباكم - إسماعيلُ عليه السلام - له ذلك الفضلُ والصبرُ وطاعةُ أمرِ الله تعالى .

لقَدْ كَانَ إسماعيلُ عليه السلام حليماً صبوراً ، وكان صادقَ الوعد وكانَ فيه كلُّ صفات الخير ، قال الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم : ٥٤ ، ٥٥] .

وقال أيضاً: ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٦) ﴾ [الأنبياء : ٨٥ ، ٨٦] .

وكان إسماعيلُ عليه السلام أولَ مَنْ تكلّمَ باللغة العربية الفُصحى، وكَانَ قَدْ تعلمها مِنَ العربِ الذين نزلوا عندَهُم بمكةَ مِنْ جُرْهُم والعماليق وأهلِ اليمن ، وكَانَ إسماعيلُ عليه السلام قد تزوج في البدايةِ امرأةً من العماليق ، وذاتَ مرةٍ زارهُ أبوهُ إبراهيمُ عليه السلام فلم يجدْهُ ووجد امرأتَهُ هذه ، فسألها [١]: كيف حالُكم ؟! فقالت : « الحالُ في ضيقٍ وفي شدةٍ !! » ، فقالَ لها : إذا جاءَ إسماعيلُ ، فأقرئيه منّي السَّلامَ ، ثم أخبريه أنْ يُغيّرَ عتبةَ بابه ، فلمَّا جَاءَ إسماعيلُ عليه السلام قالتْ لَهُ : لَقَدْ جاءَ إلينا شَيْخٌ صِفتُه كذا ، وقال: إذا جاءَ إسماعيلُ ، فأقرئيه منّي السَّلامَ ثم مُرِيه أن يُغيّرَ عتبةَ بابِهِ ، قالَ إسْمَاعيلُ عليه السلام : ذاكَ أبي ، وأنت عتبةَ البابِ ، إلحقِي بأهلك ، فطلّقها .

ثُمَّ تزوجَ بامرأةٍ أخرى مِنْ « جُرْهُم » وجاءَهُ أبوهُ يزوره

(١) قصة زيارة إبراهيم ابنه هذه فى صحيح البخارى .

فلم يجدهُ مرةً ثانيةً ووجدَ امرأتَهُ تلك ، فسألها عَنْ حالِها فقالَتْ : في خيرٍ ونعمةٍ والحمدُ لله ، فقالَ : إذا جاءَ إسماعيلُ فأقْرئيه منِّي السَّلامَ وقولي له أن يثبِّتَ عتَبَةَ بابه، وحِيْنَ جاءَ إسْماعيلُ أخْبرتْهُ زوجته بالخَبَرِ ، فقال: ذَاكَ أبي ، وهو يأمُرني بأنْ أُحَافظَ عليكي .

إنَّ إبراهيمَ عليه السلام أمَرَ إسْمَاعيلَ في البداية أنْ يُطلِّقَ تلك المرأةَ لأنَّه علَمَ من إجَابتِها سؤالَهُ أنَّها كَارِهةٌ وغيرُ رَاضيةٍ عن عيْشها مع ابنه إسماعيلَ عليه السلام فأمَره بطَلاقِها، وفي المرةِ الثانيةِ شعُرَ بعكسِ ذلكَ فَأمرهُ بإمساكِ زوجته الثانيةِ والمحافظة عليها .

وقد ولدَت له هذه الزوجةُ اثنَي عَشَرَ ولداً ذكراً ، وكان إسماعيْلُ عليه السلام رسولاً لأهلِ مكةَ ومن في ناحيتهم وأهلِ اليمن ، وكان إسماعيْلُ عليه السلام فيما يروَى عَنَه أنَّهُ أول من ركَبَ الخيلَ واستأنسها ، فكانَتْ قبل ذلِك

وُحْوشاً بَرِّيَّة غير مُستأنسةٍ ، وقد تُوفي إسْمَاعِيْلُ عليه السلام وهو ابنُ مائة وسبع وثلاثين سنةً ، ودُفِنَ عليه السلام بالحِجْرِ مع أمِّه هاجر وكان عليه السلام قد أوصَى قبلَ وفاتِه بزواجِ ابنته بابْنِ أخيهِ إسْحَاقَ ،وكانَ من نسلهمَا الرومَ (١) ، وكانَتَ العربُ من نسلِ أولادِه الذكور ، وعربُ الحجَاز كلُّهم ينتسبونَ إلىَ ولَدَيْهِ نابِت ، وقيْذار .

---

(١) انظر : « قصص الأنبياء » لابن كثير ، ط دار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، «ص ٢٢» .

العبر والعظات:

[١] الامتثال لأمر الله تعالى وطاعته، وأن يكون حب الله عندنا أعظم من حبنا لأي أحد من البشر، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤] .

[٢] اللهُ سبحانه وتعالى يختبر عباده بصنوف[1] من الاختبارات ويبتليهم بأنواع من الابتلاءات حتى يتبين لهم وللناس من حولهم صدقهم، فيكون ذلك حجة لهم يوم القيامة ، ويتبين كذبه ونعوذ بالله منه فيكون ذلك حجة عليهم ، قال الله سبحانه وتعالى:

---

(١) صنوف : أنواع .

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) ﴾ [البقرة : ١٥٥ ، ١٥٦] .

[٣] الأَنْبِيَاءُ هم أحسنُ النَّاسِ أخلاقاً ، وأَزْكاهُم نفوساً وأعظَمُهُم صَبْراً وحلماً ، وهم قدوةٌ لبني البشرِ جميعاً ، فيجبُ عَلَيْنَا أنْ نتأَسَّ بهم ، ونقتدى بأفعالِهِم ونتبع نَهجَهم منْ فِعْلِ الخيراتَ وطَاعَةِ الله تعالى والصبْر والحِلم.

[٤] الله تعالى رحيمٌ بعبادِهِ ، ولاَ يَرْضَى لهم الكفرَ ، ولا العذابَ ، لذلك أرسلَ لهم الرسلَ لتهديَهُم سواء السبيل بإذن ربِّهِم ، وهو سبحانه وتعالى بالمؤمنين أشدُّ رحمةً ، وتجلَّتْ رحمةُ الله تعالى في فداء إسماعيل عليه السلام بكبشٍ عظيمٍ ، ليطمئنَّ قلبَ

إبراهيم عليه السلام وليَعْلمَ أنَّ ذلك كان اختباراً فقط ، وأنَّ الله لا يُفيدهُ ذبحَ أحدٍ من البشر ، ولا يَزيدُ في ملكه شيئاً ، وذبحُ الكبشِ سوف يستفيدُ منه الفقراء والمسَاكِينُ ، وهذا السببُ في فدِا إسماعيلَ بكبشٍ عظيم .

أسئلة :

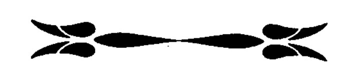
[١] من هـو النبيُّ الذبيْحُ ، ولماذا ادّعـى اليـهـودُ أنَّهُ إسحاقُ عليه السلام ؟! .

[٢] ماذا يَفْعَلُ المسلمونُ كلَّ عامٍ اقتداءً بإبراهيمَ عليه السلام حينَ ذَبحَ الكبشَ فداءً لابنهِ إسماعِيلَ عليه السلام ؟ .

[٣] كيف يقومُ المسلمُ بتقسيْمِ الأضحيةِ ؟ .

[٤] من أبو الأنبيـاءِ ؟ ومن أُبو العـرَبِ ، وأوَّلُ من نطقَ بلسانِ عربيٍ فصيحٍ ؟ .

[٥] لماذا أتي اللهُ إبرهيمَ عليه السلام بذبحِ ابنهِ إسـمـاعـيلَ عليه السلام ؟! .



قصة أصحاب الأيكة

قال الله تعالى :

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ
شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ
عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ
الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلا
تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ
(١٨٣) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا
أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن
نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن
كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨)

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ
(١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١) ﴾

[الشعراء : ١٧٦ - ١٩١] .



أهلُ مَدينَ قومٌ ظالمون طاغون ومُطففون في الميزان

أصحابُ الأيكةِ هم قومُ مدين وهم عربٌ ، كانوا يسكنونَ أطراف الشامِ من ناحيةِ الحجاز .

ومدينُ هذه اسمُ مدينتهم التي كانوا يسكنونها ، وقد سُموا بإسمها فهم أهلُ مدين ، وأهل مدين سماهم القرآنُ الكريم أصحاب الأيكة كذلك ، لأنهم كانوا يعبدون « الأيكةَ » وهي شجرةٌ من الأيكِ ، وقد كانوا كفاراً قُطّاعُ طرقٍ ، يُخيفُونَ النّاسَ ويقطعون عليهم تجارتهم وينهبونهم نهباً ، ليس هذا فحسب ، بل كانوا يبخسون الكيلَ والميزان فكانوا إذا اكتالوا على النّاسِ يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، فكان الرجلُ من أهل مدينَ يذهبُ ليشتري الطّعَام فيأخذُ فوقَ حقّهِ ،

ويضعُ من الغلالِ والحبوب فوقَ كَفَّة الميزان بعد أن تكونَ قد استوفيت ، وكان إذا جاءَ أحدُ التُّجَارِ ليشتري من تجارِ أهلِ مدين كان التاجرُ من أهلِ مدينَ يطفف الكيلَ يعني يعطيه كيلاً ناقصاً ، وذلك بأن يضعَ شيئاً يعلقه في الكفةَ التي يزنُ فيها الغلال والحبوب بحيث لا يراهُ أحد ، وهذا الشيء يثقلُ الميزانَ وترجح الكفةَ ، مع أن الشيء الذي عليها من الحبوب قليلاً لا يساوي ما وضعه من الأرطالِ في الكفة الأخرى ، فإذا أخذَ الرجلُ واشترى ما يشتريه من الغلالِ والحبوب وذهب ليزنها في ميزانٍ آخر وجد أنها ناقصة ، فإذا رجع إلى تاجر أهل مدين نهره ذلك التاجر وعاركه وقالَ لهُ : لقد أعطيتك ذلك الشيء كاملاً وأنت الذي أنقصته ، فلا يستطيع الرجل أن يأخذَ حقه من ذلك التاجر ... وهكذا .

لقد كان أصحابُ مدين قومُ سوءٍ ، إن هذا التطفيف

في الكيلِ والميـزان وهو نوعٌ من أنواعِ السـرقـة ، هذا جعلهم منبوذون من التجار والنَّاسِ في المدن الأخرى، فقد عرفوا أنَّ أهلَ مدينَ قومٌ ظالمون طاغون ومطففون ، وشاء اللهُ سبحانه وتعالى أن يبعثَ فيهم رجل منهم ، يكون صالحاً مؤمناً أميناً صادقاً ، ليدعوهم إلى عبادةِ اللهِ وتوحيده ونبذ ما هم عليه من ضلالٍ مبين ، وكان هذا الرجل هو « شعيب » عليه السلام قال اللهُ تعالى : ﴿ **وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾ [الأعراف : ٨٤] .

لقد كانَ « شُعيب » عليه السلام نبياً ذا فصاحةٍ وبلاغةٍ وقوةٍ وحجةٍ ، ولقد كان خطيباً بارعاً ، ويسميه بعض السلفِ « خطيبُ الأنبياءِ » (١)، ولقد كانَ عربياً أصيلاً ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه : « **أربعةٌ منَ العربِ** :

(١) ذكره ابن كثير وغيره .

هودٌ ، وصالحٌ ، وشعيبٌ ، ونبيك يا أبا ذر » [1] .

وسوفَ تنجلي فصاحة شعيبٍ في مخاطبةِ قومِهِ ومحاولةِ إقناعهم بالحسنى وبطيبِ الكلامِ برغمِ تبجّح قومه وسوء أدبهم في الحديثِ معه ، كما سنرى .

فصاحة شعيب عليه السلام :

بدأ شُعيبٌ بدعوةِ قومه - كما ذكرنا - إلى توحيدِ اللهِ وعبادتِهِ وتركِ عبادة تلك الشجرة التي كَانوا يعبدونَها وهيَ لا تضرهُم ولا تنفعُهم ولا تهدِيهم سبيلاً ، ثم بدأ بنصحهم بالبعد عن سلوكياتهم المنحرفة فقال : ﴿ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) ﴾ [هود : ٨٤] .

إنه يعظهم بكلِ أدب وبكل إحسان فيقول : ﴿ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ ﴾ ، وهم ليسوا كذلك وإنما يحببهم في

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه .

دعوةِ الحقِ ويلين قلوبَهم حتى يستجيبوا لله ربِّ العالمين، ثُم يُخوفهم من عذابِ الله تعالى ، ثم يقولُ لهم : ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (٨٦) ﴾

[هود : ٨٥ ، ٨٦] .

فيُكرر ويؤكد نصحَه لهم بالوفاءِ بالكيلِ والميزانِ صحيحاً من غيرِ تطفيفٍ وخداعٍ للنَّاسِ ، فإنَّ بقيةَ الله التي سوف تتبقى لكم من المالِ الحلالِ فيها من البركةِ والخيرِ ما هو أعظم من بقيتكم أنتم التي تستولون عليها من غيرِ وجهِ حقٍّ عن طريقِ تطفيفِ الكيل والميزان ، فسوف تحصلون على مالٍ كثير لكنه ممحوق البركة ولا خير فيه لأنَّهُ من حرامٍ ، كما قال لهم : ﴿ وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ

آمن به وتبغونها عوجا ﴾ [الأعراف : ٨٦] .

فلقد كانوا يقطعون الطرق و ينهبون أموال الناس ويأخذونها بالقوة ويفرضون على الفقراء الإتاوات رغماً عنهم ، فنهاهم شعيب عن ذلك وعن صدهم المؤمنين عن سبيل الله وتخويفهم وإرهابهم ، ثم يذكرهم بنعمة الله عليهم ليبعث في نفوسهم شكر هذه النعم وعدم الكفر بواهبها لهم وهو الله سبحانه وتعالى فيقول لهم : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) ﴾ [الأعراف : ٨٦] ، إن زيادة العدد نعمة من الله لأنها بالنسبة لهم عزوة وقوة ومنعة تجاه أعداءهم ، لكن لا يجب أن يغتروا بقوتهم ، فذكرهم لذلك بعاقبة الأقوام السابقة والتي يعرفونها وسمعوا عنها حين كذبوا الرسل فأهلكهم الله بعذاب أليم ، فقال لهم: ﴿ وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ

قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩) ﴾ [هود : ٨٩] .

إنَّه يلفتُ أنظارَهُم إلى أمرٍ مهمٍ كثيراً ما ينساهُ النَّاسُ عندما يجادلُ بعضهم بعضاً وهو أنه ربما بغضهم له يكون دافعاً لا شعورياً على العصيانِ والكفرِ فيقول : ﴿ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي ﴾ .

يعني : بغضي أو بغض ما جئتُ به إليكم حتى لا يُصبكم العذَاب الذي أصابَ الأقوامَ السابقةَ مثل قومِ نوحٍ وقومِ هودٍ وقومِ صالحٍ، وقومِ لوطِ الذين كانوا يسكنونَ قريباً منكم منذُ زَمنٍ يسيرٍ وليس بعيد ، فَماذا كانَ ردَّهم على نبيِّ الله شعيب ؟! وهل جادلوه الحُجة بالحُجة ؛ والدليل بالدليل ؛ والبرهان بالبرهان ؟! .

إنهم قالوا كلاماً ساذجاً لا يقوله قوم عقلاء ، لقد قالوا له : ﴿ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ

فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١) ﴾ [هود: ٩١].

يعني : إننا لا نفهم ما تقوله ، وذلك من تكبُّرِهم وعنادهم ولولا عشيرتك وقومك لقتلناك واسترحنا منك فإنَّكَ لستَ بعزيزٍ لدينا ولا حبيب إلينا ، لقد ردَّ عليهم شعيب رداً بليغاً ، لو وصل إلى قلوبهم لأمنوا على الفور ، قال لهم: ﴿ **يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** (٩٢) ﴾

[هود : ٩٢] .

يعني : إنكم تخافون قومي وعشيرتي ، فهل فكَّرتم في الخَالق جلَّ وعلا ، لو فكرتم فيه لما قلتم هذا الكلام ... أيكونُ خَوفكم من قومي أشدَّ من خوفكم من الله تعالى ؟! لكن الله تعالى مطلّعٌ عليكم ومُحِيطٌ بكلِّ أفعالكُم وهو مُجازيكم بها شراً إن لم تؤمنوا به وتتبعوني ،

وحين وصلَ شعيب معهم إلى طريق مُظلمةٍ ، ورأى أن عقولَهُم وقلوبهم قد عميتْ وضلت عن فهم الحق أو محاولة التخلي عن الباطل والضلال الذي هم عليه هددهم وتوعَّدَهم فقال : ﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣) ﴾[هود : ٩٣] .

يعني : طالما أنَّكم قد صممتم آذانكم عن سماعِ الحقِّ وأغلقتم عقُولَكم وقُلُوبكم ، فاستمروا على ما أنتم عليه ، واعملوا ما تريدون ، فإني عاملٌ غير ما تعملون وإنَّ لي طريقي ولي ديني ، ولكم طريقكم ولكم دينكم ... وسوفَ تعلمون، وسوف ترون مَنْ يحيقُ به العذابُ الأليم، ومَنْ منَّا الكذاب حقاً ،انتظروا عذابَ الله ، إني مرتقبٌ حتى أرى مصارِعكم ، فأذكِّركم كُفركم وعنادكم ونصحي لكم بغير جدوى وبغير نتيجة .

وقد كان آمن لشعيب عليه السلام قلَّة من المؤمنين الذين فتح الله قلوبهم وعقولهم لنور الإيمان ولم يتكبَّروا كما فعل قومهم ، فقال شعيب : ﴿ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧) ﴾ [الأعراف : ٨٧] ، فاشتدَّ غيظ الكافرين ، وتمخّض حقدهم عن اتفاقٍ أبرموه مع بعضهم البعض ؛ على أن يخرجوا شعيب والذين آمنوا معه من المدينة يعني « ينفوهم » خارج مدينتهم أو يرتدوا عن دينهم ، ويعودوا إلى الكُفْرِ والضلالِ .

قال تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن

نَعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) ﴾ [الأعراف: ٨٨ - ٨٩].

وكَانَ هذا استفتاح على قَومه حين قال : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ .

يعني : انصرنا عليهم وعَجِّلْ لهم ما يستحقونَه من العـذابِ يارب العالمين ، واستجابَ اللهُ دعاءَ نبيه شُعيب ، وحاقَ بالكافرينَ سُوءُ العذاب بما كانوا يكسبون .

قال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) ﴾[الشعراء : ١٨٩] ، فَقَدْ كَانَ عقـابهم وعذابهم أليمـاً شديـداً ؛ لقد سلَّطَ اللهُ عليهم رجفةً شديـدةً ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) ﴾ [الأعـراف : ٩١] ، فـقـد تزلزلتْ بهـم الأرضُ زلزالاً عنيـفـاً ؛ أسكتَ الأصـواتَ وأزهقَ

الأرواحَ ، وخطفَ الإحساسَ من شدَّةِ هَوْلِه ، ثم أخذتهم صيحةٌ عظيمةٌ لم يسمع أحدٌ شيءٌ بعدها من شدَّتها .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥)** ﴾[هود: ٩٤- ٩٥].

وقد ذكَر السادة العلماء أنَّ عذابَ هؤلاءِ القومِ كان بدايته عذابُ يوم الظُلة ، وذلك حين أصابهم حرٌّ شديدٌ لا يُطاق أسكنَ اللهُ معه هبوب الرياح لمدَّةِ سبعةِ أيامٍ متواليةٍ ، فكان لا ينفعهم من الهروب من الحر شيء لا الماء ولا الظل ، فهربوا من مدينتهم إلى الصحراءِ هرباً من شدَّةِ الحرِّ ، فجاءتْ سحابةٌ عظيمةٌ فوقهم تُظلهم فاجتمعوا جميعاً تحتها وفرحوا بها ، وما برحوا حتى تحولتْ السحابةُ هذه إلى شَرَرٍ وشُهُبٍ يتساقطُ على رؤوسِهم ، وفي تلك

الأثناء رَجَفَتْ بِهم الأرضُ رجفةً شديدةً ، ثم جاءتهم صيحةٌ من السماءِ ، فَزُهِقَتِ الأرواحُ من الأجسادِ وحاقَ بهم العذابُ العظيم .

ولقد كَانَ عذابهم بأساليبِ مختلفةِ لشدةِ كُفرهم وتكذيبهم ، وسوء أخلاقِهم وتنوعِ أساليبِ إفسادِهم في الأرضِ .

وكَانَ قولُ شُعيبُ عليه السلام لهم حينذاك : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣) ﴾ [الأعراف : ٩٣] .

إنَّ شُعيب عليه السلام لم يُقصِّر في دعوتِهم ومحاولةِ هدايتهم إلى طريقِ الحقِّ ولكنَّهم صدُّوا عن سبيلِ الله وكفروا به ، فكيفَ يحزنُ على مثلِ هؤلاءِ ؟! ، فكَانَ هلاكُ الظالمينَ ونجاةُ شُعيب عليه السلام ومَنْ معهُ مِنَ المؤمنين .



العبر والعظات :

[١] تطفيف الكيل والميزان من الذنوب الكبيرة ، والتي توعّد الله أصحابها بالعذاب الأليم ، قال الله تعالى :

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦ ﴾ .

[المطففين : ١ - ٦] .

[٢] الظالمون لا يتعظون بمصارعِ الأقوامِ السابقين حتى ولو كانوا قريبين منهم في المكانِ والزمانِ ، لأنَّ الكِبْرَ والغطرسةَ التي يتّصفُونَ بها تصدّهم دائماً عن الحقِّ وتُغلق آذانهم وقلوبهم عن الاتعاظ بما يحدث لغيرهم من مصائبٍ وكوارثٍ .

[٣] مِنْ سِماتِ الظالمين والكافرين الاستهزاءُ برسلِ الله

عـز وجل وبرسـالاتهم ؛ وبما يحـملونه من الحقِّ ومحاولة الفصلِ بين الدين والمعاملات ، فقد قالوا لشُعيب عليه السلام : ﴿ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ ﴾ [هـود: ٩١] ، وكَانَ ذلك إستهزاءاً ، كَما قَالوا له : ﴿ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود : ٨٧] .

[٤] أهلُ الكفرِ لا يستطيعون التعايش مع أهلِ الإيمان ، لاختلاف الاعتقادِ والسلوكِ والأخلاقِ ويحاولون إجبارهم على تبديلِ دينهم وذلك واضحٌ من قولهم لشعيب : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [الأعراف : ٨٨] ، وذلك حين تكونُ الكلمـةُ العليـا والسلطة في يدِ الكافرين ، بينما إذا كَانت الكلمةُ العُليا والسلطة في

يدِ المؤمنين ، فـإنهم يعـاملونَهـم بالقـسط والبِـرِّ والإحـسـانِ ، طالما أنهـم لم يُحـاربو الحقَّ والإيمان ، وذلك لأن أهلَ الإيمـانِ لا يظلمُـون أحـداً ؛ ولا يجبرون أحـداً على تبديلِ دينـه ، وشعـارهم ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .



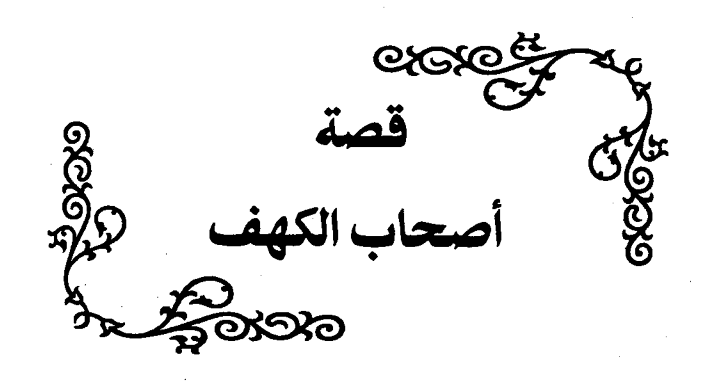
أسئلة :

[١] لماذا سمى أهل مدين بأصحاب الأيكة ؟ .

[٢] إلى ماذا دعى شعيب قومه ؟! .

[٣] ماذا يعني قوله تعالى : ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [الأعراف : ٨٦] .

[٤] أذكر أنواع العذاب الذي نزل بأهل مدين ، ولماذا كان التنوع فيما نزل بهم من ألوان العقاب الإلهي .



قصة
أصحاب الكهف

قال الله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ
آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا
مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَىٰ
آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ
الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم
بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) ﴾

[الكهف : ٩ - ١٣] .

البداية :

اليوم عيد ، عيدٌ من أشهرِ أعياد مدينة « أفسوس» وهي إحدى مُدنْ الرومان، وقد خرجَ النَّاسُ في الصباحِ الباكرِ ليشهدوا الإحتفالات العظيمة ، وليُقدِّموا القَرابينَ للأصْنامِ التي يَعبُدونَها ويَدّعون أنَّهَا آلهةٌ تُعبدُ مِنَ دونِ الله!!.

وقَد كَانَ ذلكَ قبلَ بعثة النَّبيِّ ﷺ بزمنٍ سَحيقٍ ، وفي إحدىَ المعابدِ القديمة وقفَ أحدُ الفتيان ، ذو حسبٍ ونسبٍ ، وقَفَ يُفكِّرُ ، يَسْبح بفكره في هذا الكَون الرَحْب الفسيح ، هلْ ياتُرى هـذه الأصْنَامُ وتلكَ الأوثَان هي التي صَنَعَتْ هـذا الكَونَ العَظيم ؟! ، كـيف ؟! ، إنهـا لا تتحرك ، صَمَّاء ، خرسَاء ، عَجْماء ، إنها لا تقدر على حِمايَةِ نَفسَها ، فكيف تكونُ خالقاً لغيرِها؟! ، لكن هل القومَ جَميعهُم على الباطلِ وأنا وحدي على الحق؟!؛ بالتأكيدِ قَد فكَّروا في مثلِ ما فَكرتُ فيه يوماً ما ، فخرجَ

الفتي يُفكِّرُ ويدعو الخالقَ الحَقيقي أنْ يهديَهُ سواءَ السَّبيلِ، وفي الطريق يُقابلُه حَارِسٌ مِنَ الحُراس فحدَّثه مُتوسِّمًا فيهِ الخير .

الفتي: هل أنتَ مُقتنعٌ بأنَّ هذه الأصْنامُ آلهةً تَضُر وتَنفع ؟! .

الحارس: كَلا ، ولكن هذا ما وجَدتُ عليه الآباء والأجْداد .

الفتي: إذنْ هي ليستْ آلهة ، فلماذا لا نَنبُذُها ونَعبد الخالق الحقيقي ؛ خَالقُ السموَات والأرضِ ؟!! .

الحارس: إن هذه الأصنامُ تَدُرُّ علينا رِبْحاً كَثيراً ، فالنَّاسُ يُقبلون على شرائِها مِنْ هُنا وهُناك ، ويَتَجمَّعُ حولَها التُجَّارُ مِنْ كُلِ مكانٍ ، إننا لو قُلنا هَذا الكَلام لانَفضَ النَّاسُ مِن حَولنا ، ولضَاعتْ مكانتَنا التُجاريَّة بين النَّاسِ ، إيَّاكَ يا فتي أنْ تتحدث بهذا الأمر أمامَ أحدٍ وإلا

فـإنَّ الملك « دقيانوس » إن شمَّ خبرْ بهذا الأمرِ فسوفَ يكونُ عقابُكَ أليماً .

يفترقُ الفتى والحارسُ كلٌّ من طريقٍ ، لكن الفتى ما زالَ حائراً ، فهو لم يَقْتَنِعْ بكلامِ الحارس فَطالما أنَّ هذهِ الأصنام ليستْ آلهةً ، فلا بد أن نَتركَهَا ونعبد اللهَ خالقَ السَمَاواتِ والأرضِ ، ولا يَضُرنا أنَّ الأباءَ والأجدادَ كانوا يَعبدونها ، فربُّما كانوا في ضلالٍ مبين !! ، وبينما هو كذلك يسمعُ صَوْتاً من بعيدٍ يُنَادِيهِ ... فيلتفت فإذا أحدُ أصحابِهِ أنه لم يَرَهُ منذُ أيامٍ .

صاحبه : أين أنتَ ياصاحبى،لماذا لا تُشاركُ النّاسَ في يومِ العيدِ ؟ ما لي أراكَ حزيناً مُهتماً هكذا ؟ ، هل هذا اليوم يومُ حَزَنٍ ؟! .

الفتى : إنّني أُفكرُ في أمرٍ عَظيمٍ .

صاحبه : أمرٌ عظيمٌ ؟ وما هو ، احكِ لي فأنا سِرّك.

الفتى : هذا الكون العظيم بما فيه من أرضٍ وسماءٍ، وشمسٍ وضياءٍ وقمرٍ ونجومٍ ، وسهلٍ وتغومٍ ، وبما فيه من ثمارٍ وأشجارٍ، وبحارٍ وأنهارٍ، هل يمكن أن يكون هذا الكونُ قد خَلَقَ نَفْسَهُ هكذا؟ أم لابد أن هُناك خَالقٌ قديرٌ؟!.

صاحبه : بالتأكيدِ لابُدَّ من وجودِ خالقٍ لِكُلِّ هذا .

الفتى : هل يُمكن أن يكونَ هذا الخالقُ حِجَارةً صَمَّاءَ لا تَضُر ولا تَنْفَع ؟! .

الفتى : بالطبع لا، لا يمكنُ أنْ تَخْلقُ هذه الحجارةُ شيئاً ، إنها لا تستطيعُ الدِفاعَ عن نَفْسِهَا إنْ حَدَثَ لها أي أذى من إنسانٍ أو حيوانٍ.

الفتى : وطالما أن هُناك خالقٌ، إذن فلابدَّ أنْ يكُونَ حكيماً خبيراً ، ولا يُمْكِنُ أن يخلقَ هذا الكونَ عبثاً مِنْ غيرِ فائدةٍ .

صاحبه : نعم، هذا أمرٌ منطِقٌ ومعقولٌ،لابُدَّ أنَّ هُناكَ حِكمة عَظيمة من وراء هذا الخلق...ترى ماذا يكون ؟!.

الفتى : إنني سَعيدٌ جداً، لأنَّني وجدتُ من يفهمني، ويُفكرُ معي ويقتنعُ بما أقول .

صاحبه : يا صاحبي ، إنَّ هذا الذي تُفكرُ فيه ، كان أيضاً يَشغلُ تَفكيري منذ وقتٍ طويلٍ ، وربما هذا التقارب الفكري بيننا هو ما جعلنا نُصْبِحُ أصحاباً يوماً ما .

الفتى : إنَّ علينا إذنْ واجباً عظيماً ، وهو أنَّنا :

أولاً : لا نسَجُد لهذه الأصنام ، ولا نعتقد بنفعها وضرها.

ثانياً : أن ندعو الله أن يَهْدِينا إلى الرشدِ ، وإلى طريقِ الحقِّ والصَّواب .

ثالثاً : أنْ نَدعو من نَثقُ فيهم من أصحابِنا إلى الإيمان بالله وحده ، والكفر بالأصنامِ ، حتى يَرضى عنا الله عز وجل .

وينطلق « الصاحبان » بعدَ أنْ تعاهدا على الإيمانِ باللهِ الواحِدِ الأحدِ وتوصيلِ هذا الخير لمن يثقون فيهم من الأصحاب.

دخَلَ الفتى إلى المنْزلِ فسألَهُ والدُه : أينَ كُنتَ ؟ ، إنني لم أراكَ اليومَ في ساحةِ المدينةِ تشهدُ اللَّعِبَ واللَّهو مع النَّاسِ ؟ .

الفتى : لقدْ كنتُ مع صديقٍ لي في نزهةٍ خارج المدينة ... يحدث « الفتى » نفسه ، لماذا لا أدعو والدي للإيمان بالله الواحد الأحد وتركِ عبادةِ الأصنامِ ؟!! ، ولكنِّي أخافُ أنْ ينهرني لأنَّهُ على صلةٍ وطيدةٍ بالملك ، ولكنْ هو والدي ويُحبني ، وبالتأكيدِ سوف يُصدِّقني ويُحاول أنْ يُفكِّرَ معي ، ويُحَدِّثُ « الفتى » والدهُ في أمرِ الأصنامِ وأنَّها لا تَضُر ولا تَنفَع وكيف يَعبُدها ويُقَدِمُ لها القرابين ؟! ، ولكنْ أباهُ قَدْ نَشأ عُمراً طويلاً في ظِلِ هذه

الأوهام وليس بالأمرِ السهلِ أن يتجاوبَ مع «الفتى» ، لقد وَرِثَ هذا الأمر كابراً عن كابرٍ ، يردُّ عليه أبوه قائلاً : « يا فتى » دَعَكَ منْ هذا الذي تَقولهُ وفكّرْ في مصلحتك ومُستقبلكَ ، إنَّ الملكَ لو سَمِعَ بهذا الأمر ، وأنَّكَ تُسفّه الآلهة ، سوف يُذيقكَ العذاب الشديد ولَن يقدر أحدٌ على حِمايتكَ ، حتى أنا ... .

الفتى : يا أبت دَعكَ من الملك وبَطشه ، هل أنّتَ مُقتنعٌ بأنَّ هذه الآلهة تَضرُّ وتَنفْعُ ؟ ؛ وأنها هي التي خَلقَتْ الإنسانَ وهذا الكونَ الفسيحَ ؟!! .

والده : إذنْ فَمنْ الخالق يا بُنيّ إن لم تكنْ الآلهةُ ؟. أنت تُجَادلُ في أمرٍ عظيم قد استقرَّ عليه الآباءُ والأجدادُ وجميعُ النَّاسِ ، لابد أنَّ هذه الألهةُ هي التي خَلقَتَ ، إياك أن تَسُبَّ تلك الآلهةَ حتى لا ينالك مِنها الشرَّ أو تنزلَ عليكَ اللَّعْنَةَ.

اخْتَارَ « الفتى » مع والده ، إنه لا يَستطيعُ إقْناعَه ، لأنه مُتَشبثٌ بما كان عليه الآباءُ والأجدادُ ، ولا يُريدُ أنْ يُحرِّرَ عَقْلَهُ من قُيودِ العاداتِ الموروثةِ وادِّعاءات النَّاسِ .

ومثلما حَدثَ مع الفتى حَدثَ أيضاً مع صاحبِه «الفتى» ، فإنه أيضاً حاولَ أن يُقْنِعَ أباهُ فلم يستطع ، كَانَ « الفتى وصاحبُه » يتقابلان كُلَّ يوم ويتعاهدان على الإيمانِ باللهِ وحْدَهُ ، ويُفكِّران في آياتِ اللهِ العظيمةِ في الكونِ ، ويدعوان اللهَ أن يهديَ أباءَهُمْ وقومَهم .

ومَرتْ الأيامِ ونجحَ « الفتَيان » بفضلِ اللهِ تعالى ، نَجَحَ كلٌّ منهما في دعوةِ صاحبينَ من أصحابهِ إلى الإيمانِ باللهِ الواحدِ الأحدِ ، فأصْبَحوا ستةِ شَبابٍ ، فتيةً صالحين مُؤمنين مِنْ أشرَافِ القومِ ، وتَسربتْ أخْبَارُ الفتيةِ إلى الملكِ « دقيانوس » وكانَ رَجُلاً ظالماً يَستَغلُ النَّاسَ أسوأ استغلالٍ ، وكانت له العيونُ في كلِ مكانٍ يأتونه

بالأخبارِ، فقدْ كان يُحاربُ أي دعوةٍ للإصلاحِ، لأنهُ يرى فيها تَهديداً لُملكه ولعَرشِه ، وحِينما سَمِعَ بأمرِ الفتيةِ، بَعَثَ إليهم واستدْعَاهُم إليه ، حتى يرى ما هذا الذي عليه هؤلاء الفتية ؟!، هل يُهددُ عَرَشه ومُلكه؟!، هل أتوا بشيءٍ جديدٍ ؟ أم أنَّ هذا مُجردُ لعبٍ منْ لعبِ الصبيان ؟! .

وذهبَ الفتيةُ إلى الملكِ، ودخلوا عليه والملكُ في صَولجَانهِ ، حَولهُ الخَدمُ والحَشمُ والحُراسُ عن اليمينِ والشمالِ ، وقَفوا بين يدي الملكِ ، فسألهم الملكُ : لقدْ سَمعتُ أنكم أتيتُم بدينٍ جديدٍ غَيرَ الذي نحنُ عليه جميعاً ، أحقاً ما سَمِعْتُ عنكم؟!! :

نَظرَ الفتيةُ إلى بعضِهم البعضُ، وانتدبوا أحدهمُ ليتحدث باسمهم . فقال: أيُّهَا الملكُ، إننا لم نأت بشيءٍ جديدٍ : إنَّ اللهَ هدانا إلى الحقِّ، إلى الإيمان بخالقِ السمواتِ والأرضِ، والشَّمْسِ والقَمرِ ، وكل ما على البسيطةَ.

الملك : ماذا تقصدونَ ؟! بأن هناك إلهاً غير الآلهةَ التي نعبُدها ؟! أنتم تَستهزءونَ بعقولِنَا جميعاً إذن ... .

الفتى : أيها الملكُ ، نحن لا نستَهزأُ بكم ، ولكننا نَدعُوكم للإيمانِ بخالقِ السماواتِ والأرضِ حتى لا نَستحقَّ العذابَ في الآخرةِ .

الملك : ماذا تقول ؟ في الآخرةِ ؟!؛ أىُ آخرةٍ هذِهِ ؟، هل بعد الموتِ من بعثٍ ؟! .

الفتى : نَعَمْ بالتأكيد ، فليس من الحِكمةِ أن يَخلُقَ اللهُ الخلقَ جميعاً ثم يموتون ويستوي منهِم البرَّ والفاجر ، الذي عَمِلَ صالحاً والذي عَمِلَ السيئاتِ وأفسدَ في الأرضِ ، لابد أن هُناك يومًا سوف يُحاسبُ فيه النَّاسُ جميعاً على ما قَدَّموا في حياتِهِم الدُّنيا ، فمنْ عَمَلَ صالحاً فله جزاءً الحُسنى ، ومن عَمِلَ غير ذلك فله عذابٌ شديدٌ .

الملك : كَفَى ...كَفَى ... إن هذا الذي تَدّعونه كَذِبٌ وافتراءٌ ، وما سَمعنا بهذا في آباءنا الأوَّلين ، هل ستأتونَ بما لَمْ يأتِ به أَحَـــدٌ.هل أنتم أعلمُ مِن كلِّ هؤلاء النَّاسِ ؟!، سوفَ أُمهِلكم أُسبوعاً لتفكِّروا في أمْرِكُم وترجِعُوا عن غَيِّكُم وإلا لأُقْتُلنَّكُم ولأشردنَّكُم تَشريداً .

إختفاء الفتية :

انصرفَ الفتيةُ من قصرِ الملكِ ، وقد وضَعهم الملكُ في مأزقٍ خطيرٍ فإما أنَ يتركوا دِينَهم وعبادةُ الله الواحدَ الأحد، ويعودوا إلى عبادة الأصنام بعد أن هَداهُم الله ، أو يستَحِقُّوا القَتلَ والتَشرِيدَ من الملكِ وأعوانِه .

إنها مِحْنةٌ قاسيةٌ ، واختبارٌ لقوة الإيمانِ الراسخةِ في قلوبِ الفتيةِ ، هل يتركون دينَهم ؟! هل يستسلمون ؟! أم يَثْبَتُوا على الدِّينِ الحقِّ؟ ، وبَعدَ تفكيرٍ عميقٍ هداهم اللهُ إلى أن يختبئوا لفترةٍ معينةٍ عن أعيُنِ الملكِ وأصحابِهِ

في كهفٍ في جبلٍ بعيدٍ عن المدينةِ ، فلن يعرفَ أحدٌ مكانهم ولن يَصِل إليهم أعوانُ الملكِ ، وسوف يستَخْفونَ، ويخرجُ واحدٌ منهم مُستخفياً يحضر لهم الطعامَ والشرابَ كل يومٍ من غير أن يَحُسَ بهم أحد ، حتى يقضى اللهُ في أمرِهِم ما يحُب .

وذهبَ الفتيةُ إلى الكهفِ، وفي طريقهم قابلهُم راعٍ للغنم، وكان أيضًا فتى طيباً ، فكلَّموه ،وكان قد سَمِعَ عنهُم من قَبل ، فهداهُ اللهُ وشَرحَ صَدرهُ للإيمانِ، وكَانَ هذا الراعي معهُ كلب ، فحاولَ أن يتركَه ، فلم يُفلح فَتبعَهم ، وعندئذٍ أصبحَ مجموعة الفتيةِ سبعةٌ وثامنهم كلبهم(١) وحِينَما دَخَلوا بابَ الكهفِ ، استراحوا، فناموا جَميعاً ، وبعد إنقضاء المُدة التي حَدَدَها الملك ، شَرَعَ في البَحثِ عنهم ، فبَعثَ جُنودَهُ في كلِ مكانٍ يبحثون عن

(١) انظر : « قصص الأنبياء » لابن كثير ، ط دار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، «ص ٢٢» .

الفتيةِ،فلم يَجدهم أحدٌ ، لقد اختفوا ، إنَّ اللهَ ضرب على آذانِهِم بالنوم زَمناً طويلاً ، ولم يعرف أحدٌ مكانَهَم .

ومرت الأعوام والسنين ومات « دقيانوس » وأعوانُه ومَاتَ كل مَنْ كانَ في ذلك الوقت، وَتوالتْ الأجيالُ جيلٌ تِلَو جيل ، وآمن النَّاسُ بربٍّ العالمين ، وتركوا عِبادة الأصنام ... كُل هذا والفتيةُ نائمون في كَهفِهِم ، يَتقَلَبُون يَميناً وشمالاً ، لقد حَفظَ اللهُ أجْسَادهم منْ التَعفُّنِ ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) ﴾ [الكهف : ١٧] ، وذلك حِفظاً لأجْسَادهم من التَّعفُّنِ أو أن تأكلهَا الأرضُ ، وكانوا يَتَقلبُونَ حتى إذا اطَّلَعَ عليهم أحدٌ ظَنَّ أنهم مُتيقظون وليسوا نائمين ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ

رُقُودٌ ﴾ [الكهف : ١٨] .

وبعد أكثَر من ثلاثمائة عام شاء اللهُ الحكيم الخبير أنْ يَبعثَ هؤلاء الفتيةَ مرةً ثانيةً ، ويُوقظهم من نومِهم العميق ، ليجْعَلهم آيةً النَّاسِ ، لأنَّ النَّاسُ في ذلك الوقت ثار بينهم جدلٌ كبيرٌ حول البعثِ يوم القيامةِ ، هل هو بالجَسدِ والروحِ أم بالروحِ فقط ، لأنَّ الأجساد سوف تفنى ؟! . فبَعثَ الله عَزَّ وجَلَّ الفتية ليُبينَ للناسِ آياته في حفظِ الأجسادِ ، وأنَّ الله قادرٌ على أن يُعيدَهم جميعاً بعدَ الموت وبعد أن تَفنَى أجسادُهم ، استيقظ الفتيةُ ، وشَعروا أنهُم نامُوا نَوماً طويلاً ، فأخذوا يتساءلون : ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [الكهف : ١٩] ، ظنُّوا أنَّهم ناموا يوماً كاملاً أو جُزءاً كبيراً مِن اليومِ ، ثم قالوا: اللهُ أعلمُ بما لَبِثْنا، لا بد أن نَبَعثْ أحدٌ يشتري لنا طعاماً لأننا في شدةِ الجوعِ ، فأعطوا

نقوداً فضيةً لأحدهم ليشتري لهم الطعامَ ، وقالوا له : احذر أن يراكَ أحدٌ من جُنود « دقيانوس » ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الكهف : ٢٠]، فخرج متخفياً، يمشي مُتجهاً نحو المدينة .

رُؤية المعجزة :

ثم دخلَ « الفتى » المدينة فوجدَهَا قد تغيرَتْ تَغيراً كبيراً ، ما هذا ؟ أهذه مَدينة « أفْسوس » ؟! ، قابل رَجُلاً فسأله : ما اسم هذه المدينة ؟ قال الرجل: هذه « أفسوس» هل أنتَ غَرِيبٌ ؟ فتعجَّبَ « الفتى » من تغيُّرِ المدينة بين عَشيةٍ وضُحاها ... ثم قال في نفسِه : سوف أشتري الطعام من أقرب بائعٍ ثم أعودُ مُسرعاً إلى أصحابي لأُخبرهم بما رأيت .

وذَهبَ إلى أقرب بائعٍ ، فأعطاه النقُود ، وطلب منه

طعاماً ، فنظرَ الرجلُ إلى النقود وتفحَّصها جيِّداً ، وسأله : هل عثرتَ على كنزٍ أيها الفتى؟ ، مِن أينَ لك بهذِهِ النقود؟ إنَّ عُمرها أكثر من ثلاثمائة عام !! .

فتعجَّبَ « الفتى » أشدَّ العَجبِ ،كيف هذا ؟ إنها معي مِنَ البارحة فقط ، فأعطاها البائعُ إلى آخر بجواره فتعجب من شَكْلِ هذِهِ النقود وقالَ : إنها تَرجع إلى عصرِ الملكِ الظَّالِمِ « دقيانوس» لقد سَمِعتُ جَدي يتحدثُ عنهُ وعن ظُلمِهِ للنَّاسِ .

اشتدَّ عَجَبُ « الفتى » ، لقد التفَّ النَّاسُ حولَه كأنَّه مُعجِزَة - وهو كذلك - وأخذوا ينَظرونَ إلى هيئتِه وشكْلِه وطريقةِ لبسه ، إنها تَختلفُ عن هيئتهِمِ وطريقةِ لبسِهم ، ولم يُصدِّقوا كلامه عَنْ الكَهْفِ ونومه منذُ يوم واحد فقط، فأخذوهُ إلى حَاكم المدينة ، فَقَصَّ عليه قصتَهُ ، وكان حاكمُ المدينة يسْمع عن فِتيةٍ اخْتفَوا مُنذ زمنِ الملكِ

الظالِم «دقيانوس» ، فسَجَدَ لله سبحانه وتعالى أن أراهُ هـذه الآيـة العظيمـةَ ، ثم ذَهَـبَ مـع « الفتى» إلى الكَهف ليبشروا أصحابَهُ بأنَّهُم ناموا أكثرَ من ثلاثمائة عام، وأنَّ الله قد نَصَرَ دينهُ ومات « دقيانوس » وتخلَّصَ النَّاسُ من شَرِّه ، وذهبوا إلى الكَهفِ ، فدخلَ الفتَى أولاً ليُخبرَ أصحابَهُ بالأمر ، فوجدهُم يُسبحونَ الله ويذكرونَهُ فأخبرهُم الخبَرَ ، فتعجَّبُوا وازدادوا إيماناً مع إيمانِهم ، ومِنْ رحمةِ الله بهم أن ضَرَبَ على آذانِهم بالنومِ مرةً ثانيةً فناموا مرةً ثانيةً ، لكن هذه النومة هي نومتهم الأخيرة ، والتي بعدها سوفَ يُبعثون يوم القيامةِ إنْ شَاءَ اللهُ ، والنَّاسُ خارِجَ الكهفِ ينتظرُونَ أحداً منهم يخرجُ ، فلم يخرجْ وبعد طولِ الانتظارِ دَخَلَ حاكمُ المدينة عليهم فَوجَدَهم قد ماتوا جَميعاً ، وقد ألقَى الله المَهابة عليهم ، فَخَرَجَ وسدَّ بابَ الكهفِ عليهم .

واحتار النَّاسُ في أمرِهم ماذا يفعلون .

واهتدوا إلى أنْ يكتبوا قِصَّتَهم في كتاب ثم يَضعوه في الكهفِ ثم يبنوا مَسَجداً عند الكَهْفِ ، يكون دليلاً على مكانِهِم .

قال الله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الكهف : ٢١] .



العبر والعظات :

[١] إعمالُ العقلِ في الأشياءِ التي حولنا ، والتفكُّر في الكون وفي آيات الله ، كُل هذا طريقٌ للوصول إلى الحقِّ والإيمان . قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** (٤٦) ﴾ [سبأ : ٤٦] .

[٢] إن التشبثَ بعادات الآباء والأجداد المخالفة لدينِ الله عائقٌ كبيرٌ أمام طريق الإيمان ، فينبغي أن نأخذ منْهَا الصالحَ الموافقَ لدينِ الله ، ونتركَ غير ذلك من العادات المخالفة للشريعة .

[٣] القيامة حقٌ ، والبعثُ حقٌ ، والحسابُ حقٌ ، فينبغي أنْ نعملَ لهذا اليوم ، وقَدْ جَاء رجُلٌ يسألُ رسولَ الله ﷺ قائلاً : يا رسولَ الله : متى الساعة ؟! ، قال عليه الصلاة والسلام: « **وماذا أعددْتَ لها ؟!** » ،

قـال الرجل : حُبُّ اللهِ ورسـولِهِ ، قَـالَ ﷺ : «أنتَ مَعَ مَنْ أحببتَ » (١) .

فموعِدُ الساعةَ ليس هو المشكلة ، لكن المشكلة هي العمل لهذا اليوم .

[٤] نشرُ الخير ، والدعوةُ إلى دينِ الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، قَالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

[٥] أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى ينصُرُ الحَقَّ دائماً ، مهماطَالَ ليلُ الباطلِ ومهما انتفشَ الباطلُ فإنه إلى زوالٍ .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [غافر: ٥١ ، ٥٢] .



أسئلة :

[١] مـا الأسـبـاب التي جـعلـت الملك وأعـوانـه ؛ يضطهدون الفتية ؟! ، ولا يؤمنون بالله ؟! .

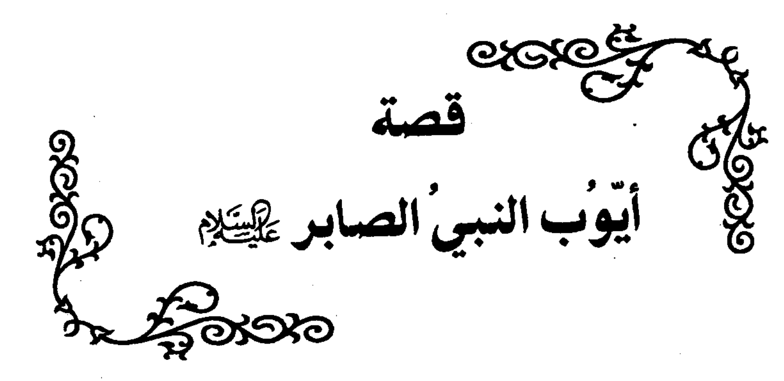
[٢] لماذا لجأ الفتية إلى الكهف ؟ .

[٣] ماذا كان دعاء الفتية عند دخول الكهف ؟ .

[٤] لماذا بعث الله الفـتـيـة بعـد هذا الزمن الطويل الذي رقـدوه في الكهف ؟ .

[٥] أذكـر الآية من كـتـاب الله التي تبين الحكمـة من بعث الفتية بعد رقودهم الطويل .





قصة
أيّوب النبيُ الصابر عليه السلام

قال الله تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤) ﴾

[ص : ٤١ – ٤٤] .



ابتلاء الله لأيوب عليه السلام

أيوب عليه السلام من ذريّة إبراهيم عليه السلام ، فهو أيوب ابن موص ابن رازح ابن الغيص ابن إسحاق ابن إبراهيم عليه السلام ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٤] ، وهو نبي من أنبياءِ الله تعالى ، أنعمَ الله عليه بنعم كثيرة ، فكان لديه المال الكثير ، والأراضي الواسعة ، والأنعام الوفيرة ، والعبيد والخدم، وكان كثيرَ العيالِ ذا عِزوةٍ وعشيرةٍ .

ثمَّ إنَ الله تعالى ابتلىَ أيوبَ عليه السلام ابتلاءً شديداً ، فكان أنْ فقدَ عيالَه ومالَهُ ، فافتقر بعد الغنى ، وأصبحَ وحيداً بعد العُزوةِ والعشيرة ، فلم يبق معه صابراً سوى زوجته المؤمنةِ الصابرةِ وابْتُلِيَ في جسده ، وأعياه التعبُ وأقعده عن العمل ، فكانت تسعى زوجته في خدمتهِ

والعمل من أجل راحته ، وكان أيوبُ من شدة ورعه وتقواهُ وعبادته يستحي أن يدعو الله أن يرفعَ عنه البلاءَ ، فقد سألته امرأته ذات مرةٍ قالت : ياأيوبُ ... لو دعوت الله لزّج عنك ، فماذا كان ردّه ، وماذا كانت إجابته ؟! .

إنّها إجابةُ الصابرُ العظيم ، قال لها : لقد عشتُ سبعين سنةً صحيحاً ، فهل قليل لله أنْ أصبرَ له سبعين سنةً أخرى ؟!! .

صبرٌ جميل :

ما هذا الصّبرُ الجميلُ يا أيوبُ ، لقد استحققت ثناءَ الله عليك بقوله : ﴿ نِّعمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ، ولقد اشتدَّ الحالُ بأيوبَ عليه السلام ، وكثر عليه كلامُ الناسِ .

فمنهم من يقولُ :

لو كان أيوبُ قريباً إلى ربه لما ابتلاهُ بصنوف (١) البلايا

(١) صنوف : أنواع .

وبذلك العذابِ ، ومنهم من يقولُ : إنَّ أيوبَ قد أذنب ذنباً عظيماً فلذلك ابتلاهُ الله بتلك البلايا ، ولقد طال البلاءُ بأيوبَ حتى مرَّ عليه ثماني عشرة سنةً وهو يعاني من البلاءِ والتعب وشدةِ المرض .

وأشدّ من البلاءِ الجسدىِّ إتهامُ الناسِ له بغير حقٍ حتى أقرب أصحابه وإخوانه الذين يعرفون صدقه وتقواه وخشيته لله تعالى ، اتهم أقربُ أصحابِه بأنه أذنب ذنباً عظيماً فكان ذلك البلاء .

وهذا كله كذبٌ وافتراءٌ على أيوَب عليه السلام ، وعند المرضِ والشدةِ تظهر معادنُ الناسِ ، ويُعرفُ الحبيبُ من الغريب ، والعدوُ من الصديقِ ، والقريبُ من البعيد ، وربما كان هذا من حكمةِ الله أيضاً في ابتلاءِ أيوبَ عليه السلام ، ولقد طال المرضُ على أيوبَ واشتدّ ، ووجد الشيطان في ذلك فرصةً للنيلِ من صبر زوجته ، وأخذ

يُوسوسُ لها فيقولُ لها : مالك ولأيّوبَ لقد أقعدهُ المرضُ ، ونفر منه القريبُ والبعيدُ ، ثمَّ إنك قد قمت بواجبك معه حقَّ القيامِ ، ويكفي هذا ، لا تدفني شبابَكِ مع أيوب ، اتركيه حتى لا يصيبك منه أذى .

ولقد اتبع الشيطانُ ـ لعنه الله ـ معها كل حيلة ليُثنيها عن خدمة زوجها والصبرِ عليه ، فلم يُفلِحْ ، لقد كانت امرأةً مؤمنة حقاً ، وكانت نِعمَ الزوجة وكانت تخدم الناس حتى تأتي بمال لشتري به طعاماً لها ولزوجها ، وذات مرةٍ اشتدَّ بهم الحالُ ، وضاقت معيشتهم ، ففكرت كيف تحصل على المالِ الحلالِ بعدما نفر منها كثيرٌ من النَّاسِ ورفضوا خدمتها خوفاً أن يُصيبهم المرضُ ، ففكرت في بيع ضفائر شعرها ، وهذا شيء عزيز جداً على كل امرأةٍ ، ولم تُخبرُ أيوبَ عليه السلام بذلك ، ثم أتت له بالطعام ، فقال أيوب متسائلاً : من أين أتيتِ بالطعامِ وقد تركتِ خدمة

النَّاسِ ؟! فسكتت ، فحلف ألا يأكلَ حتى تُخبره من أين أتت بثمن ذلك الطعام !!.

فكشفت عن شعرها ، فعرف أَنَّها باعت ضفيرتها ، فحزن لذلك الأمر ولأنها لم تُخْبِرْهُ بذلك ، ثم دعا الله قائلاً : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

[الأنبياء : ٨٣] .



الفرجُ بعد الشدةِ

بعد الشدّة والضيق يأتي الفرج والسعة من عند الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ ﴾ [الشرح : ٥، ٦] ، ومهما طال الليلُ فلا بُد لسوادهِ [1] من انتهاءٍ ، وكلما اشتدت ظلمة الليل ؛ كلما اقترب وقتُ بزوغِ الفجر ...

وهذا أيوبُ عليه السلام العبد المؤمنُ النبيُّ الصابرُ ، قاسى ألوانَ التعب وصنوف المرض صابراً محتسباً ، لم يضجر ، ولم ينهزم ، ولم يضقْ خُلقه ، أو ينفلت لسانه بكلمة تُغضب الخالقِ جلَّ وعلا، كلاًّ ، وإنَّما كان لسانُه ذاكراً وقلبه شاكراً ، وبدنه على البلاءِ صابراً .

ذهب أيوبُ ليقضي حاجتَه ، وبعيداً عن أعين الخلق

(١) لسوادِه : لِضيقِه .

وأثناءَ رجوعِه وعودتِه إلى بيتِه وكانت زوجته تأتيه في الطريق لتوصله إلى بيته آخذةً بيده ، وقبل مجيء زوجته إليه ، وهو سائرٌ في طريقه بعناءٍ ومشقّةٍ إذا به يسمعُ صوتاً يقولُ له : ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) ﴾ ، فضربَ الأرضَ برجله ، فنبعت عيناً مِنَ الأرض بإذن الله تعالى ، وفاضت بماءٍ باردٍ طهورٍ وشفاءٍ ، فاغتسل منه أيوبُ عليه السلام وشرب ، فذهب عنه كل ما كان به من أذى ، ورجع أحسن مما كان قبل مرضه ، فقابلته زوجته فلم تعرفه ، وقد كانت ذاهبةً إليه لتأخُذَ بيده ، وظنت أنَّه رجلٌ غريبٌ ، فقالتْ له : أيْ باركَ الله فيك ، هل رأيتَ نبيَّ الله هذَا المُبْتلى ؟! ، فوالله القدير على ذَلكَ ما رأيتُ رجلاً أشبه به منْكَ إذْ كانَ صحيحاً ، قالَ : فإنّي أنا هُو ، قالتْ لَهُ : أَتَسْخَرُ منيّ يا عبدَ الله ؟ ، فقالَ : ويحكِ أنا أيوبُ قد ردّ الله عليَّ جسدي ، وردَّ الله

عليه مالَهُ ورزقَهُ مالاً كثيراً وفيراً ، قال رسول الله ﷺ :
«**بينما أيوبُ يغتسلُ عُرياناً خرَّ عليه جرادٌ من ذهب ، فجعل أيوبُ يحثي** [١] **، من ثوبه ، فناداهُ ربُّه عزَّ وجلَّ: يا أيوبُ ألم أكن أغنيتكَ عمَّا ترى ؟! ، قال : بلى ياربِّ ، ولكن لا غِنَى لي عن بركتك**» [٢].

وردَّ الله لزوجته صحتَها وشبابَها وجمالَها فولدت له ستةً وعشرين ولداً ذكراً ، معوِّضه الله عن بنيه الذين فقدهم ، قال الله تعالى : ﴿ **وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ** (٨٤) ﴾

[الأنبياء : ٨٤] .

وكان أيوبُ عليه السلام قد حلفَ إن شفاهُ الله ليضربنَّ امرأتَه مائةَ ضربةٍ بالسوطِ ، وذلك لغضبه منها في أحدِ

---

(١) يحثي : يغترف بيده فى ثوبه .
(٢) رواه أحمد ومثله فى البخارى .

المرات لمعصيتها كلامَه وفعلها ما لمْ يرضى عنه ، وبعدما شفاهُ الله ، فكّر في هذا الحلفِ وكيف يضربُ امرأتَهُ مائةَ سوطٍ ، وهي التي خدمتَهُ وسهرتْ على راحتِه ، وكانت له نِعم المُعينُ على نوائب الدّهرِ ، فوقعَ بين نارينِ ، إمّا أنْ يضربَ زوجتَهُ ، كما حلفَ وفي هذا إيذاءٌ شديدٌ لها ونكرانٌ لجميلِ عرفانِها وخدمتها ، وإمّا أن يحنثَ باليمينِ ولا يضربها وفي هذا عصيانٌ لله تَعالى لأنّه لن ينفّذ ما حلف به !! .

وفي أثناءِ حيرتِه الشديدةِ وفكْره الشاردِ ، جاءَهُ الرأيُ السّديدُ من فوقِ سبعِ سماواتٍ ، إنه الوحي الإلهي ، قال الله تعالى : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ .

وهي حيلةٌ عظيمةٌ من الحيلِ المباحةِ ، فبدلاً من أنْ يضربَ أيوبُ امرأتَهُ بالسوطِ مائةَ مرةٍ ، يجمع مائةَ حزمةٍ

ويضربها بها ضربةً واحدةً ، وفي هذا نفاذٌ لليمين وعدمُ الحنثِ به أو النكوصُ عنه ، وفي نفس الوقت ليس منه إيذاء شديد لزوجته الصابرةِ المحتسبة المؤمنة ، ثمَّ عاش أيوبُ عليه السلام بعد ذلك دهراً طويلاً في كاملِ عافيته وغناهُ من فضلِ الله تعالى ، فقد قال بعضُ السلفِ أنَّهُ عاش بعد شفائه من المرضِ سبعين عاماً ، فكان أيوب عليه السلام عبرةً لكلِ مُعتبر ، ولكلٍّ من ابْتُلِيَ في جسدِه أو في ماله أو في أهله وولده .

قال بعضُ السلف :

« إنَّ الله يحتجُّ يومَ القيامة بسليمان عليه السلام على الأغنياءِ ، وبيوسف عليه السلام على الأرقَّاءِ ، وبأيوب عليه السلام على أهلِ البلاءِ » (١) .

مع أنَّ أيوبَ عليه السلام جمع بين الصبرِ على عددٍ من الابتلاءات ، لقد صبر أولاً على الغنى والنعمةِ والعظيمةِ

(١) قصص الأنبياء لابن كثير « ص ٢٧٣ » .

وكثرة الأولاد ، وربّما يسألُ سائلٌ فيقولُ وهل الغنى والنعمةُ تتطلب الصبرَ ؟! .

نقولُ نعم إنَّها تتطلب الصبر أكثر من الفقرِ ، والصبرُ عليها يكون بشكرها وعدمِ الاغترار بها وعدم التكبّر والتعالي على الناس ، لأنَّ بعض النَّاسِ حين يغنيه الله من فضله تُصيبُه نفخةُ الكبرياء - نعوذُ بالله منها - ويُصعِّرُ خدَّه للنَّاس ، وينتفشُ وكأنَّه يقولُ ليس أحدٌ مثلي، وهذا كله كفرٌ بنعمة الله وعدم صبرٍ عليها .

ثم صبَر أيوب عليه السلام ثانياً على الفقر بعد الغنى والوحدة بعد العزوة والمرض بعد الصحة والعافية ، وهذا أمرٌ شديدٌ على النَّفسِ ولا يتحملّه إلا كُلُّ مؤمنٍ صادقٍ، يعرف أنَّ ما عند الله خيرٌ وأبقى وأنَّ الله هو الرزاق يبسط الرزقَ لمن يشاءُ ويقدرُ ، لقد ضرب أيوبُ عليه السلام أروعَ المثل في الشكرِ والصبرِ ، سلامٌ على أيوبَ .



الْعِبَرُ والْعِظَاتُ :

[١] الإبتلاءُ في الدنيا لا يكونُ بسبب سوءِ خُلقِ الإنسان ولا معصيتهِ بقدرما يكون اختباراً من الله تعالى لعباده المؤمنين الصالحين ، لذلك قال رسول الله ﷺ : [**أشدّ الناس بلاءً الأنبياءُ ، ثمَّ الصالحونَ، ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ**] (١) .

فالإبتلاءُ ليس للطالحين فقط ، وإنّما للصالحين أكثرُ وأشدُّ ، وذلك حتى يلقوْن الله وهم أتقياءُ أنقياء ليس عليهم إثم ولا معصية فيدخلون الجنةَ ، يُرزقون فيها بغيرِ حساب .

[٢] مساعدة أهل البلاءِ والوقوفُ بجانبهم ومواساتهم ، وعدمُ السُّخريةِ منهم أو الإستهزاء بهم ، أو لومهم ، أو إتهامهم باتّهاماتٍ باطلة .

---

(١) رواه البخارى .

[٣] الرضا بقضاء الله وقدرة ، وعدمُ السخطُ أو الضَّجر، والصبرُ على البلاءِ ، والحذرُ كلَّ الحذرِ من وساوسِ الشيطانِ التي قد تجعلُ الإنسانَ يكفرُ نعمة الله عليه ، لأنَّ نعمَ الله علينا كثيرةٌ ، ومهما أصابنا من تعبٍ أو مرضٍ ، فإنَّ هناك ما لا يُحصى ولا يُعدُّ من النعم التي أنعمَ الله بها علينا فنشكره - تعالى - عليها .

[١] حفظُ الجميل والعِرفان لأهلِ الفضْل، ومسامحةُ الآخرين ، فإنّ وقتَ الشدةث لا يقف فيه معك إلا صاحبُ الفضلِ والخُلقِ العظيم ، وعند الشدائد تُظهرُ معادنُ النَّاسِ .

[٤] حُسْنُ التأدُّبِ مع الله تعالى في الدعاء وفي وجميع الأقوال والأفعالِ ، فانظرْ إلى دعاء أيوبَ عليه السلام وأدبه الجمّ : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[الأنبياء: ٨٣] ،

وفي قوله تعالى : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص : ٤١] .

لقد نَسبَ الإصابةَ بالمرض والتعبِ إلى الشيطانِ ، وهكذا فكلٌّ شرٍّ يُنسبُ إلى النفسِ والشيطانِ ، وكلٌّ خيرٍ إلى الله تعالى .



أسئلة :

[١] كيف كانَ حالُ أيوبَ عليه السلام قبلَ أنْ يُبتلى ؟ .

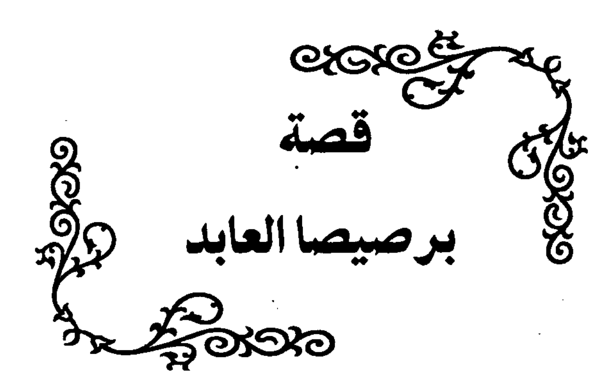
[٢] كيف كانَ حالُ النَّاسِ معه بعد ابتلائه ومن الذي كانَ معهُ في شدَّته ؟! .

[٣] ما الذي جعلَ أيوبَ يتحملِ البلاءَ ويصبِرُ عليه ؟ .

[٤] ماذا فعل أيوبُ حتى لا يحنثَ في يمينِ ضربِ زوجتهِ ؟! .

[٥] بعد الشدَّةِ يأتي الفرجُ ، اذكرْ ما يدّلُ على هذا المعنى من القصة ؟





قصة
برصيصا العابد

قال الله تعالى :

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) ﴾

[الحشر : ١٦ – ١٨] .



إغواء الشيطان للإنسان

القصّةُ التي بين أيدينا هي إحدى قصص إغواءِ الشّيطان للإنسانِ ، وهي حلقةٌ في سلسلةٍ مُتصلةٍ ، بدايتها خلقُ آدمَ عليه السلام ، وتنتهي بإنتهاءِ الخلقِ جميعاً ، وفناءِ كلِّ الأحياءِ ، إلا الحيِّ الذي لا يموت ،ربُّ السماواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ ، وهذِهِ القصّة لا تدلّ على انتصارِ الشيطانِ في جولةٍ من جولاتهِ ، بقدْرِ ما تدلُّ على حرصِ الشيطانِ على إغواءِ الإنسانِ شيئاً فشيئاً ، والوصول بِهِ إلى الكُفرِ باللهِ ، إن استطاعَ إلى ذلك سبيلاً .

البداية :

كانَ « برصيصا » العابد الزاهد ، يعبدُ اللهَ في صومعةٍ بعيداً عن النّاسِ ، منقطعاً عن الدنيا ، لقَدْ كَانَ راهباً ، والرهبانية لم تكنْ في دينِ عيسى عليه السلام ،

ولكنْ أتبَاعه ابتدعوها من بَعْده ، قال تعالى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [الحديد : ٢٧] .

لقَدْ تحدَّثَ النَّاسُ بأخلاق ذلك الراهب ، وعرفوا عنه الصلاحَ والهُدى ، وكانوا يأتونَهُ من كُلِّ مكانٍ ليدعو لهم ، وكانوا يتصدَّقُونَ عليه بالأموالِ ، وبما منحهم اللهُ مِنَ النِّعمِ .

لقد زهدَ هذا الراهبُ في الدنيا ، وحرّم على نفْسه أن يتمتَّعُ بما فيها من المتع الحلال ، مثل أن يأكُلُ الطَّعامَ الطيب ، أو يلبسَ الثيابَ الفاخرةَ ، أو أنْ يتزوجَ كما يتزوج بقية بني البشر ، فيتناسلون و ينجبون أولاداً بنين وبنات ، فتعمر الأرض ويكثُرُ البَشَرُ ، لقد أخذَ «برصيصا» على نفسهِ عهداً ألاّ يقْرَبَ هذه الأشياءَ ، وانقطع للعبادةِ فقط !! .

ثِقَةُ الجيرانِ :

كان بجوارِ صومعةِ « برصيصا » الراهب ، داراً بها عائلةٌ مكونةٌ من أربعة رجالٍ وفتاةٍ ، إخوة كلهم لأبٍ واحدٍ وأمٍ واحدةٍ ، لكنّ أباهم وأمهم كانوا قد لَحقوا بالرّفيقِ الأعلى منذُ زمن ، فكَانَ الأخوةُ الأربعةُ الرجالُ يعيشون هم وأختهم في هذِه الدار الصغيرة المجاورة لصومعةَ الراهب ، واضطُرَّ الإخوةُ بعد أن ضاقتْ بهم الحالُ إلى السَّفَرِ للتجارة والكسْبِ حتى يستطيعوا أنْ يُنفقوا على أنفسهم وعلى أختهم التي تعيش معهُم ، لكَن بدت هناكَ مشكلة كبيرة ، وهذِه المشكلةُ هي أُختهم ! :

كيف يتصرفونَ معها ؟ هل يتركُونَهَا وحيدة في البيتِ ويسافرون للتجارةِ ؟ أم يأخذونها معهم ؟! .

إنهم لا يستطيعونَ أخذَها والسفر بها ، لأنها لن تقدر على تحمُّلِ السفر الطويل كالرجالِ ، ولن تقدرَ على

تحملِ الجوعِ والعطشِ ، إنها سوف تُمثّلُ لهم عائقاً كبيراً في السفرِ .

وأخيراً اهتدوا إلى فكرةٍ عظيمةٍ ، وهي أن يتركوا أُختَهم في حفظِ وأمان ذلك الراهب « برصيصا » فإنَّهُ خيرٌ من يرعاها في غيابهم ، فذهبوا إليه وكلموه في هذا الأمرِ ، فأبدى موافقته .

وحَانَ مَوعدُ السَّفَرِ وتجهّز الإخوةُ الأربعة ، وأخذوا معهم الزادَ والشرابَ ، وذهبوا ليودِّعُوا جَارَهم الرَّاهب الزَّاهد ويوصونه بأختِهِم خيراً .

ومَرَّت الأيامُ يوماً تلو الآخر ، وبرصيصا يقومُ بواجبهِ حقَّ القيامِ ، فبكل يوم يطرقُ البابَ على الفتاة ، فتردُّ عليهِ مِنْ خلفِ البابِ ، ويطمئنَّ عليها، ويحضرُ لها ما تريدُ من الطعامِ والشرابِ .

خطوات الشيطان :

جاءَ الشيطانُ إلى « برصيصا » في صورةِ الناصحِ الأمينِ فقالَ لَهُ : مَالَكَ لم تقمْ بحقٍّ رعايةِ الفتاةِ كما وعدتَ إخوتها الأربعة عند سفرهم ؟! ، قال برصيصا : وكيف ذلك ؟ إنني أطمئنٌّ عليها ، وأُقَدِّم لها ما تحتاج إليه من الطعامِ والشرابِ ...

الشيطانُ في صورةِ الناصحِ الأمينِ : وهل كُل ما تحتاجُ إليه هو الطعامُ والشرابُ فحسب ؟ .

برصيصا : ماذا تقصد ؟ .

الشيطانُ ناصحاً : أقصدُ أنَّك لابدَّ أن تتحدثَ معها لترى حَالَهَا ، وتسمعُ كلامَهَا ، فربَّما تشتكي من شيءٍ ، ثم إنَّها لا تجدُ أحداً تتحدث معهُ ، لابد أنها تحسُّ بغربةٍ كبيرة لأنَّ كلَّ إنسانٍ يجب أن يتحدثَ مع الآخرَ حتى لا يشعُرَ بالضيقِ والمللِ ، اذهبْ وتحدثْ معها من خلفِ

البابِ واسألْ عَنْ حالِها حتى لا تشعرَ بالمللِ والوحدةِ .

قَال برصيصا : نعم ، لكَ حقٌّ في هذا ...

في اليومِ التالي طرقَ « برصيصا » البابَ على الفتاةِ ، وسألها هل تحتاجُ إلى شيءٍ ، فشكرتهُ الفتاة ، فقال لها : إذا كَانَ لديك أي شكوى فتحدَّثي معي ، فإنِّي مستمعٌ إليك ، وأخذا يتحدَّثان ، هو في الخارجِ وهي في الداخلِ ، فشعرِ كلٌّ منهما بشيءٍ من اللذَّةِ ، فقَالَ «برصيصا» في نفسه : أليسَ هذا ربما يكونُ دافعاً إلى شيءٍ حرام ؟! ، فوسوسَ إليه الشيطانُ قائلاً : كلا إنما أنتَ تزيلُ وحشتها ولا تشعرها بالوحدةِ وفي ذلك ثوابٌ كبيرٌ !! .

وبعد أيامٍ جاء الشيطانُ إلى الراهبِ في صورةِ الناصحِ الأمينِ قائلاً له : لا ينفع ما تفعله أنتَ تتحدث من خلفِ البابِ ، أنت في الخارجِ وهي في الداخلِ ، إنَّ الحديثَ بهذِهِ الصورة لا يؤتي ثماره ، ادخلْ وشاركْهَا الطعامَ حتى

لا تشعر بالوحدةِ ، وحتى تُسرِّي عنها وتُزيل ما هي فيهِ مِنْ غُرْبَةٍ .

وشيئاً فشيئاً ، دَخَلَ الرَّاهِبُ وجلَسَ مع الفتاة يتحاوران ويتجاذبان أطرافَ الحديثِ ، ولا أحَد يعلمُ من أهلِ القريةِ بشيء مِنْ هذا ، وذاتَ يوم زيّنها الشَّيْطَانُ في عينِهِ ، وزينّه في عينها حتى وقَعَ بها .

وبعد أن أفاقَ من فعلته الشّنيعة ، حَزَنَ ونَدَمَ أشدَّ الندم ، وأخذَ يسألُ نفسَهُ ، ماذا أفعلُ في هذه المصيبة ؟! ماذا لو حَملَتْ الفتاةَ ؟! سوفَ يفتضحُ أمرنا !، وأخذ يدعو الله ألا تحمل الفتاة ، لكن هل يستجيب الله لمن فعلَ الفاحشةَ ؟! .

ومرَّتْ الأيامُ وحدثَ ما كان يخشَاهُ الراهبُ ، لقد حملتْ الفتاةُ وارتفعتْ بطنها ، دارَ صراعٌ كبيرٌ داخلَ نفسِ الراهبِ ماذا يفعل؟، سوفَ يحضرُ أخوتها ليعرفوا

الأمرَ فيقتلوه ، سوف يفتضح أمرهُ عند أهلِ القريةِ .

جاءَ لهُ الشيطانُ فوسوسَ له قائلاً : إن هناك حلاً لمشكلتك وهو حلٌ سهلٌ وبسيطٌ ، وهو أن تقتلَ الفتاةَ وتدفنَهَا ، فإذا جاءَ إخوتها قلتَ لهم : إن أختَكُمْ قد ماتتْ وقمتُ بدفْنِها ، وسوفَ يصدقونك ، لأنَّه لا يشكّ أحدٌ فيك ، وفي إخلاصِك وعبادتكَ ...

إنَّ الشيطانَ لم يكفه أنْ فعلَ الراهبَ الفاحشةَ بل يُريدُ منه أن يفعلَ إثماً أكبر، وكبيرةً عظيمةً ألا وهي القتل!! .

وفَكَّر الراهبُ فلمْ يجدْ خيراً مِنْ تلك الحيلة الشيطانية التي أهداهُ إليها شيطانه ، لأنه إن لم يفعلْ سوفَ يفتضح أمره ، ولا يعلم أنَّ الفضيحة في الدُّنيا أهونُ مِنَ الفضيحةِ يوم القيامةِ ، وأنَّه بذلك يرتكبُ إثماً أعظم وهو القتل ، وكان أولى به أن يتوبَ إلى اللهِ مِنْ فعلته هذهِ ، ثم يتزوجَ الفتاة ، أو يحدث له ما يحدث ، فليس هناك أعظم

من أن يتمادي الإنسانُ في فعلِ المعاصي ، معصيةً تلو أُخرى ، فيكون الهلاك بعدَ ذلك ، قامَ الراهبُ بقتلِ الفتاة ودفنها ؛ بعد أن أخبرَ أهلَ القرية أنها ماتَتْ ، وصدَّقوه ، حيثِ أنه لم يعرفْ أحدٌ عنهُ الشرَّ ، وفكرتهم عنه أنه ما زالَ عابداً راهِباً لا يفعلُ إلا الخيرَ ، وأنه منقطعٌ عن الدُّنيا وشهواتهَا .

ومرَّتْ الأيامُ وعادَ الأخوةُ الأربعةُ من سفَرِهِم ليجدو البيتَ خالياً ، ليس فيه أحدٌ ، أين أختهم ؟! ذهبوا مُسْرِعين إلى الراهبِ يسألونه : أين أختنا ؟ فقالَ لَهُم : لقَد مَاتَتْ ودفنتُهَا ، فصدقوه ، وحزنوا عليها حُزناً شديداً، فَقَدْ كانوا يرجون أن يجدونها في أحسنِ حالٍ ، لقد أحضروا لها الهدايا من سفرهم ، وكل ما كانت تتمناه ، ولكن الموت قد كُتبَ على كلِّ الخلائقِ ، فكل إنسانٍ سوفَ يموتُ في يومٍ ما ، فلابدَّ من تَسليمِ الأمرِ لله

تعالى، وأن يقولَ الإنسانُ عند الموت ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] .

ولَكن هل انتهى الأمر عند هذا الحدِّ ؟! ، هل يترك الشيطانُ الراهبَ بعد أن أصبحَ يُحرِّكُهُ كالخاتمَ في أصبعهِ وينصحُهُ فيستمع لنصحِهِ وهو لَهُ عدوٌّ مُبين ، لا ، لقد فكَّرَ الشيطانُ ودبَّرَ ، واهتدى لحيلةٍ عظيمة حتى يُوقِعَ الراهبَ في معصيةٍ أكبرَ من المعصيةِ السَّابقةِ .

ولكن ماذا يكون أكبر من القتل ؟!! .

المشهد الأخير :

لقد جاءَ الشيطانُ للإخوةِ الأربعةِ في المنامِ ، قائلاً لهم : إنَّ أختَكُم لم تمتْ ، لكن الراهبَ قتلَهَا ، بَعدَ أنْ وقَعَ بها ، وإن لم تُصدقوني فاذهبوا إلى قبرِها وسَوْفَ ترون صِدق كلامي لكم .

فقام الإخوةُ مِنَ النَّومِ في الصباحِ فقالَ أحدهم :

لقد رأيتُ في منامي رجلاً يقولُ :كذا وكذا ، فقال الآخر ، ولقد رأيتُ مثلما رأيتَ ، وقَالَ الثالثُ نفس الكلامِ ، والرابع ...

قالوا : لابدَّ أنَّ هذا الأمر صحيح ، فلنذهب جميعاً لقبرِ أُختنا ، فرأوا شَجاً في رأسِها فعرفوا أنها قُتلت ، وشاع الخبرُ في القرية وعرف النَّاسُ جميعاً بالأمرِ ، ووقَعَ الراهبُ في وضعٍ لا يُحسدُ عليهِ ...

واحتارَ الراهبُ ماذا يفعل ؟! ، فجاءهُ الشيطانُ في المشهدِ الأخيرِ مفصحاً عن نفسهِ ، قائلاً له : إنني أنا الذي أوقعتُكَ في كُلِّ ما سبقَ ، ولا سبيلَ لكَ بالخروجِ من هذا المأزقِ إلا أنا أيضاً ، فإذا أردتَ أن تنجو منْ هذا الذي أنتَ فيه فاسجدْ لي واكفُرْ باللهِ ، فَسَجَدَ الراهبُ للشيطانِ وكَفَرَ باللهِ تعالى ، فَقَالَ الشيطانُ للراهبِ : إني

بريءٌ منك ...

وتَركَ الراهِب للمصيرِ المحتومِ بعدَ أن ارتكبَ أبشَعَ الجرائم ؛ وهو الكُفرُ باللهِ تعالى ، فَخَسِرَ الدنيا والآخرة ، ذَلِكَ هو الخُسرانُ المُبين ...



العبر والعظات :

[١] الرهبانيةُ وترك الدنيا والعمل والتفرغُ للعبادة فقط ، ليسَ مِنْ الفطرةِ لأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى خلقَ الإنسان ليعيشَ مع النَّاسُ ويأكلَ ويشربَ ويتزوج ويعملَ ، هذا كله جنباً إلى جنبٍ مع العبادة والصلاةِ والخشوعِ ، لذلكَ قَالَ رسولُ الله ﷺ : «**لا رهبانيَّة في الإسلامِ**» ، وقال : «**مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فليسَ منِّي**» .

[٢] أنْ لا تتْركَ الأسرةُ البنتَ وحْدَهَا فترةً طويلةِ حتى لا تتعرضْ لأي أذىً من أحدٍ من النَّاسِ .

[٣] لا يجتمع رجلٌ وامرأة إلا كَانَ الشيطانُ ثالثهما ، فلا يجوز أن يجتمعَ رجلٌ وامرأةٌ غرباء عن بعضهم البعض في مكانٍ ليس فيه أحدٌ غيرهما .

[٤] أنَّ الشَّيطانَ يأتي للإنسانِ في صورةِ ناصحٍ أمينٍ

ويوسوسُ إليه بالمعصيةِ بعد أن يُزيِّنها لهُ ويضعَها في ثوبٍ جميلٍ ، فالإنسانُ عليه أن يحذرَ حيلَ الشيْطَانِ .

[٥] أنَّ الشيطانَ يتبعُ مع الإنسان التَّدرُّجَ من معصيةٍ صغيرةٍ إلى أخرى أكبرَ منها .. وهكذا .. وغايته الكُبْرى أن يَكفُرَ الإنسانُ .

[٦] أنَّ الإنسانَ إذا فعلَ ذنباً أو معصيةً فعليهِ بالتوبةِ بعدها مباشرة ، حتى لا تدفعُهُ تلكَ المعصية إلى معصيةٍ أخرى ، فإنَّ توبةَ الإنسانِ تُمَثِّلُ للشيطانِ كارثةً ، فيحثو على رأسِهِ التُّرابَ ، لأنَّ توبةَ الإنسانِ تمحوُ الذنبَ ، فيكونَ تعبُ الشيطان في ضياعٍ .



أسئلة :

[١] ماذا تعني كلمة « راهب » ؟ .

[٢] هل الأفضل أن يعبد الإنسان الله بمعزل عن الناس أم يعبد الله مع الناس ؟ وهل الإسلام دين الوحدة أم الجماعة ؟! .

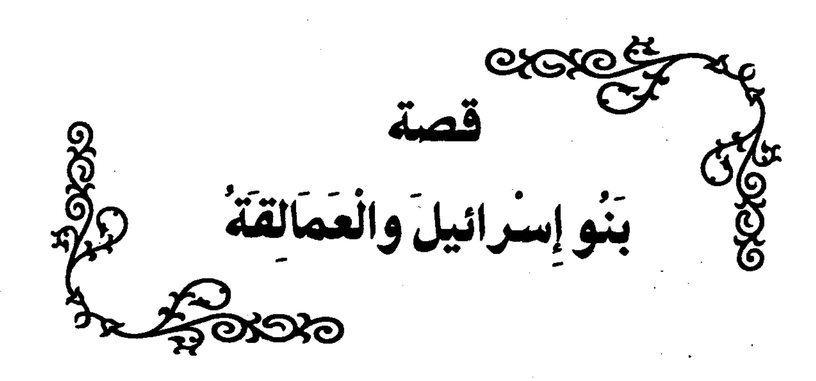
[٣] ماذا يريد الشيطان من المسلم ؟ .

[٤] كيف يغوي الشيطان الإنسان المسلم ؟ .

[٥] ماذا يفعل الشيطان بعد أن يوقع الإنسان في المعصية ؟ .

[٦] ماذا يجب على المسلم فعله إذا اقترف إثماً أو معصية ؟ .





قصة
بَنُو إِسْرائيلَ والعَمَالِقَةُ

قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ
أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي
كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ
(٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا
حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ
رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ
الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن
كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا

دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦) ﴾ .

[المائدة : ٢٠ – ٢٦] .

« القدس الشريف »

كانت الأرض المقدسة « القدس الشريف» بفلسطين وما حوله ، وكانت تسمى « إيليا » [يعني بيت الله] ، وكانت هذه الأرضُ في ملك يعقوب « إسرائيلَ» عليه السلام ونشأَ فيهَا بنوه ، ثم ارتحلوا إلى مِصرَّ إلى أخيهم يوسُفَ عليه السلام ، حين كان على خزائنِ الأرضِ أميناً ، وظل بنو إسرائيل بمصر زمناً طويلاً ، ونَسوا حظاً ممَّا ذُكروا به ، وخلعوا عن أنفسهم عبادةَ الله ، وسلط الله عليهم فرعونَ مصر يُقتل أبناءهُم ويستحيّي نساءهم وفي ذلك بلاءٌ من ربهم عظيم ، حتى أذنَ الله أن يبعث فيهم رسولاً منهم يُذَّكِّرهم بالله ، وبوصيّة أبيهم يعقوب عليه السلام حين وصَّاهم بالإيمان بالله وحده ، قال الله تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي

قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) ﴾[البقرة : ١٣٣] .

ويذكِّرهم بفضل الله عليهم أن بعث فيهم أنبياءَ كثيرين من أنفسهم وجعلهم ملوكاً عندهم الأموال والقصور والخدم ، وفضَّلهم على كل من كان في زمانهم من الناسِ ، وذلك النبيُّ كان موسى عليه السلام رسولُ الله إلى بني إسرائيلَ وإلى فرعون وملاءه،ذلك الرسولُ الأمين صاحب العزمِ والقوةِ والبأسِ الشديد، الذي حاجَّ فرعونَ فغلبه ، وأراه آياتِ الله الكبرى لكنَّ فرعون بغى وطغى وأصرَّ على قتالِ موسى ومن معه من بني إسرائيل، وخرجَ موسى من مصرَ ومعه بنو إسرائيلَ فلحقهم فرعونُ وجنودُه حتى إذا وصل موسى ومن معه من بني إسرائيل إلى البحر فأصبح البحر أمامهم والعدوُّ من خلفِهم ، فقال أصحابُ موسى ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء : ٦١] ،

لكنَّ موسى عليه السلام الواثقُ بنصرِ الله وأنَّه سيحميه ﴿قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء : ٦٢]، وكانت آية الله تعالى حيث أمر موسى عليه السلام أن يضربَ البحر بالعصى التي معه فأصبحَ البحرُ طريقاً يابساً فمرَّ موسى وأصحابُه مسرعينَ وحين لحِقهم فرعونُ وجنودهُ عاد البحرُ كما كان فغرقوا جميعاً .

وبعد أن رأوْ بأعينهم هذه المعجزةَ الإلهيةَ العظيمةَ ونجوا من فرعونَ وبطشه وشهدوا غرقَه هو وجنوده في البحر ، بعد هذا كله قال لهم موسى هيا لندخلَ الأرضَ المقدسةَ « القدس» فنحرِّرها ممَّنِ اغتصبَها من الكافرين الذين اغتصبوها ، وهُم العمالقة وهم قومٌ أولِي بأسٍ وقوةٍ عظيمة وهم أبناءُ رجلٍ يُسمى «عملاق ابن لاوذ » .

وبعد كلِّ الاياتِ العظيمةِ التي رآها بنو إسرائيلِ ، عصوا أمرَ رسولِهم موسى عليه السلام ، وأبوْا أن يدخُلوا معه

الأرضَ المقدسةَ إنَّهم خافوا وجَبُنوا ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ ، فقام رجلان (١) ، مؤمنان يَعظونهم فقالا : ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) ﴾ .

لكنَّ بني إسرائيل أصرّوا على النُّكوص عن الجهادِ في سبيل الله ، وتخاذلوا عن تحرير الأرضِ المقدسة ، وقالوا لموسى في عزمٍ وإصرار : ﴿ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، إنَّها البجاحةُ والوقاحةُ من هؤلاءِ القومِ الفاسقين ،عصيانٌ واضح جليٌّ ، وهروب من لقاء العدوِّ يوم الجهادِ، فلم يجدْ موسى عليه السلام إلا أن يعتذرَ لربِّه ويتبرأ من فِعل هؤلاء

(١) هذان الرجلان هما كما قال السلف : يوشع بن نون ، وطالب بن يوفنا » .

المجرمين ، فقال : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) ﴾ .

وكان العقابُ الإلهيُّ العظيمُ ، وهو الحكم عليهم بالتيه ، يَتيِهون في الأرضِ أربعين سنةً كاملةً ، لا يعرفون طريقاً ولا يهتدون سبيلاً ، إنَّها الحيرةُ والخوف من المجهول جزاءَ خوفِهم من لقاءِ العدوِّ ، وتحرير الأرض المقدسة التي كتب الله لهم ، قال الله تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦) ﴾ ، يعني أنَّهم لن يدخلوا هذه الأرضَ المقدسةَ لمدة أربعين سنةً ، وتلك المُدةُ سوف يُحكم عليهم بالتِيه في الصحراء ، مهما ساروا ومشوْا لا يهتدون لطريقٍ يخرجهم من هذا التِيه ، أو لمكانٍ يستريحون فيه .



عجائب ومعجزات في التيه :

حدثَ في التيه معجزاتٌ عظيمة وأمورٌ عجيبة ، وكان فيها الكثيرُ من العبَرة والعظةِ ، وكان من رحمةِ الله بهم - برغم عصانِهم وتمرُّدهم - أنْ ظللَّ عليهم الغمام - السحاب الأبيض- حتى يكون لهم ظِلاً يسترهم من حرٍّ الشمس ، حيث حرُّ الشمس في الصحراء شديدٌ ، ولو لم يظلِ الله عليهم الغمامَ لهلكوا جميعاً بعد وقت قصير ، فساحوا في الصحراءِ تأئهين يبحثون عن ماء وغذاء فلم يجدوا فقالوا لموسى : « ادعُ الله أن يُنزلَ علينا الماءَ لنشربَ والغذاءَ لنأكل فقد أوشكنا على الموتِ » فدعا موسى ربَّه ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [البقرة : ٦٠] ، فضرب موسى

صخرةً صماءَ بعصاه فانفجرتْ منها اثنتا عشْرةَ عيناً بعدد أسباطهم (١) ، فكان كلٌّ سبْطٍ يشرب من عين منها ، وكانوا يحملون الصخرة معهم أينما توجّهوا ، فإن عطشوا ضربها موسى بعصاهُ فانفجرتْ منها عيونُ الماء ، وأنزل الله عليهم « المنّ والسلوى » والمنُّ هو غذاءٌ طيّب يُشبِهُ « العسل » ،كانَ ينزلُ على أوراقِ الشّجر فيأكلون منه ما شاءَ أنْ يأكلوا ، « والسّلوى » طَائِرٌ يُشبه «السمان » ذو لحم طريٍّ شهيّ ،كانَ الرجلُ منهم يذبح قدرَ ما يكفيه يوَمه ، فإذا ذبح أكثر من ذلك فسد في اليومِ التالي ولم يصلحْ للطعام ، إلا أنّه إذا أخذَ طعامَ يوم الجُمعة ليوم السبت فلا يفسد، لأنَّ الله تعالى كانَ قد شرع لهم يوم السبت للعبادة فحسب .

وأنزلَ الله عليهُم التوراةَ ، وشرعَ لهم أمورَ عبادتِهم ،

---

(١) الأسباط هم أبناء يعقوب عليه السلام وإليهم ينتسب بنو إسرائيل .

فما كان منهم إلا أن بطروا نعمةَ الله عليهم ، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فرفضُوا الطعامَ الجيدُ وطلبوا الطعامَ الدنيئ ، فقالوا لموسى ﴿ **فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا** (١) **فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ٦١] .

قال لهم موسى عليه السلام : أتتركونَ الطعامَ الجيدَ الذي أنزله الله عليكم ، وتريدون طعامَ الأرض وتريدون طعامَ الأرضِ الأقلّ والأدنى ، الله ينزل عليكم المنّ والسلوى وتطلبون العَدَس والثومَ والبصلَ والبقوليات ؟! اذهبوا فستجدونها في أي بلد ، لقد ضُربت عليكم الذِّلةُ والمسكنُة ، وأصابكم غضبٌ الله تعالى فلا يزالون مُستذلين

(١) كلمة « مصر » : فى اللغة العربية تعنى « بلد » .

مُستصغرين من قبل الخلقِ جميعاً ، وذلك لتكبرهم في الأرضِ بغيرِ الحقِّ ولقتلهمُ الأنبياءَ بغير حقٍ ، ولأنَّهم دأَبُوا على عصيانِ أوامر الله عزَّ وجلَّ ، وتبديلِ كلامِ الله .

الخروجُ من التيه وقِتالُ العمالقة :

ولما انقضت مدةُ الأربعين سنةً التي حكم الله فيها على بني إسرائيلَ بالتِيه ، وكان أثناءَ هذه المُدة قد مات نبيُّ الله هارون ، ثم لحقهُ موسى - عليهما السلامُ - بعده بمدة ثلاثِ سنين ، وكان مُعظمُ بني إسرائيل الذين رفضوا قتالَ العمالقة ، وتركوا أمرَ الله تعالى قد ماتوا وهلكوا جميعاً وبقى أبناؤُهم ، وبقى الرجلانِ اللذانِ نصحا بني إسرائيل في البدايةِ بالقتالِ ، وهما « يوشع ابن نون » وصاحبه « طالب بن يوفنا » .

فجعل الله يوشعَ بن نون عليه السلام نبياً فيهم ، فاستجاب لأمر الله تعالى، وخرج لقتالِ العمالقة وإخراجهم من

الأرض المقدسة ، ففتحها بإذن الله تعالى وهزم العمالقة الجبارين ، ووجد كنوزاً وأموالاً كثيرةً فجعلها قرباناً لله تعالى تنفيذاً لأمر الله ، فلم تحترقْ ولم تشتعلْ فيها النيرانُ ، فعلم «يوشع بن نون» عليه السلام أن هناك رجلٌ قد سرق شيئاً من تلك الأموالِ ، فقال عليه السلام لبني إسرائيل : فيكم الغُلولُ[1]،فلم يتكلموا ، فدعا رؤوس الأسباطِ الإثنىْ عَشَر فبايعهم ، رجلاً رجلاً ، فالتصقت يدُه بيدِ رجلٍ منهم ، فقال : الغُلولُ عندك ، فأخرجه وأخراج رأسَ بقرة من ذهب فوضعه مع القربان فأكلته النار »[2].

وأمر « يوشعُ بن نون » بني إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة سُجَّداً ويقولوا « حِطّة » [3] ، وذلك من أمرِ الله

---

(١) « الغلول » يعنى الشيء المسروق ، والفعل « غلَّ » يعنى سرق ، وهو يطلق على سرقه الغنائم أو الأموال العامة .

(٢) قال ابن كثير : « وهذا السياق له شاهدفى الصحيح » .

(٣) حطة : يعنى« احطط عنا خطايانا » .

تعالى ، فلم يكن « يوشع » إلا مبلغاً لهم عن الله ، فرفضوا أمره وبدّلوا كلامَ الله ، وقالوا : « حنطه »[1] .

إنّهم يخالفونَ أمرَ الله تعالى من أجل المخالفة فحسبْ ، من أجل التبديل والمعصية ، وكلما أرادَ الله عزَّ وجلَّ أنْ يهديَهم استحبُّوا العمى على الهدى .

قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩) ﴾ [البقرة: ٥٨- ٥٩] .

قال رسول الله ﷺ : « **قيل لبني إسرائيل أُدخلوا الباب سُجَّداً ، وقولوا حِطَّةٌ ، فدخلوا يزحفُون على**

(١) حنطة : شعيرة .

أستاهم [١]، **فبدَّلوا وقالوا حبة في شعرة** » [٢] .

لقـدِ اسـتكبـروا في أنفـسهـم أن يقـولوا « حِطةٌ » ويستغفروا ربَّهم، اعترافاً بذنوبِهِم وطلبِ المغفرةِ والعفو من الله تعالى ، لكنْ قست قلوبُهم فهي كالحجارةِ أو أشدُّ قسوةً ، فقد كانوا مثل آباءِهم ، وجزاءاً لكفرِهم بنعمةِ الله عليهم ، وتمردهم وتكبرِهم وعصيانِهم بعدما فتح الله عليهم الأرضَ المقدسةَ أنزل الله عليهم رجزاً من السماءِ بما كانوا يفسقُدون ، وهو العذابُ ، وقيل هو الطاعون لقول رسول الله ﷺ : « **الطاعونُ رجزٌ عذاب ، عُذِّبَ بهِ من كانَ قبلكم** » [٣]، وقد أمرهم الله أن يدخلوا سُجَّداً خَافضي رءوسِهِم عصياناً وتكبراً ، والله تعالى لا يحبُّ المتكبرين.

---

(١) استاهم : يعنى مؤخرتهم .

(٢) رواه البخارى مرفوعاً عن أبى هريرة .

(٣) رواه النسائى وأصله فى الصحيحين .

وكان رسول الله ﷺ حين دخل فاتحاً منتصراً ، كان يضعُ رأسَه (١) ، وهو راكب راحلته - تواضعاً لله تعالى - حتى ليكاد يمسُّ واسطةَ الرحْلِ من شدَّة تَواضعهِ عليه الصلاةُ والسلام .

(١) رواه ابن إسحاق ، انظر السيرة النبوية لابن هشام .

العِبَرُ والعظات :

[١] النكوصُ عن الجهادِ وتحريرِ الأرضِ من احتلال العدوِّ ، إثمٌ كبير وذنبٌ عظيم ، كما أنّ التولّي يوم الزحف « الفرار من القتال » من أكبر الكبائر ، يستحق من يفعله العذاب الأليم في الدنيا والآخرة .

[٢] من صفاتِ بني إِسرائيل النكوصُ عن الجهاد ، والتولِّي يوم الزحفِ ، وعصيانِ أوامرِ الله ، وتبديل كلام الله ، وقتلِ الأنبياءِ بغير الحقِّ ، والتكبر في الأرضِ بغير الحقِّ .

[٣] التواضعُ لله تعالى عند النصر والفوز والنجاح ، وعدم التكبر أو التعالي على الناسِ، فإنَّ الله لا يحب المستكبرين .

[٤] شكرُ الله تعالى على نعمهِ الجمَّة « الكثيرة » وعدم تمنِّي الشيءِ الأدنى « الأقل » ، والدعاء بما هو خير.

[٥] أنَّ الله تعالى حكم على بني إسرائيل بالذلة والمسكنة فباءوا بغضبٍ من الله ،لكفرهم بآياتِ الله وقتلهم الأنبياء بغير حقٍ ، ثم بتكذيبهم رسولَ الله ﷺ وهم يعلمون أن ما جاءَ به هو الحقّ.

[٦] أن الله تعالى فضّل بني إسرائيل في زمنهم على العالمين ، وعلى كل من كان في الأرضِ وقتها ، وبرغم هذا كله لم يرعوْا نعمةَ الله عليهم ولم يحفظوها ولم ينفذوا أوامرَ الله فكان لهم الذِّلةُ والمَسكنةُ إلى يوم القيامة ، ثم جعل الله تعالى بعد ذلك أمّة رسول الله محمد ﷺ خيرَ أُمَّةٍ أُخرجتِ للنَّاس ، قال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) ﴾[آل عمران : ١١٠] .

أسئلة :

[١] لماذا رفض بنو إسرائيل دخولَ الأرضِ المقدسةِ ؟ .

[٢] بم عاقبهم الله لنكوصِهِم عن الجهادِ وتحريرِ الأرضِ المقدَّسة ؟.

[٣] اذكرْ آياتِ الله ومعجزاتِهِ لبني إسرائيل في التيه .

[٤] بم أمر الله بني إسرائيل أن يفعلوا عند دخولِ الأرضِ المقدسةِ ؟، وماذا كان فِعلهم وقولِهم ؟! .



قصة
﴿ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ (١) ﴾

قال الله تعالى :

﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ
وَلا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ
لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩)
وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١)
فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) ﴾

[النمل : ٤٨ - ٥٣] .

---

(١) تسعة رهط : تسعة نفر .

نبيُّ الله صالح عليه السلام
يدعو إلى توحيد الله ونبذ عبادة الأوثان

فِي إحدى القُرى الواقعةِ بين الحجازِ والشامِ ، وقبلَ بعثة أبي الأنبيَاءِ إبراهيم عليه السلام بزمنٍ يسيرٍ ، كان يَسْكنُ قومٌ غلاظٌ شدادٌ ، وهبهمُ الله من القوةِ والمنعةِ مالمْ يُعْطِه كثيراً من خلقه ، هؤلاءِ القومُ هم قومُ ثمودَ ، كانوا يسْكُنون الوديانَ والجبالَ ، يتّخذُون فيها القصورَ والبيوتَ ، وذلك مِن نعمِ الله العظيمةً عليهم ... هؤلاءِ القومُ اتَّخذُوا الأصنامَ آلهةً يعبدُونها من دونِ الله ويقدِّمُون لها القرابينَ مِنْ الطعامِ والذبائحِ ونحوهَا ، وبالرَّغمِ مِنْ أنَّ ثمودَ هُم أولاد « سامْ » بن نوح عليه السلام ، فهُو الأبُ الثالثُ لهم ، وقد كانَ « سامُ » من المؤمنينَ بربِّ العالمين ، لكنَّ ثمُودَ كفرُوا ربَّهم ، واستحبُّوا العمى على الهُدى ، وأغَواهمُ

الشيطانُ فاستجابُوا له ، لقد كانَتْ قلوبُهمْ قاسيَةً مِثلَ حياتِهم التي يعيشُونَها ، وكَانَتْ أخلاقُهم سيئةً ، فِيهَا الخِيانةً وَالغدرُ والنفاقُ ، فبعث الله فيهم رسُولاً منهم رجلاً مؤمناً تقياً نقياً صالحاً ، اسْمُهُ مِثلُ صِفَتِهِ ، ألاَ وَهُو نَبِيٌّ الله صَالِحُ عليه السلام .

فأخَذَ صالحُ يَدْعُوهُم إلى تَوحيْد الله وعبادته ونبذ عبادة الأوثان التي يُشركُونَها مع ربِّ العَالَمِين ، فكذَّبوه ، وكُلَّما دَعَا منْهُم أحداً سخِرَ مِنهَ ، وقَالَ له مُسْتَهْزِئاً : أنت رسُولُ رَبِّ العالمِين ؟!! .

حَتى مرَّ عليْهم ذاتَ يومٍ وهم في مجلسهم جميْعَاً فأخذ يدعوهم ويحدِّثُهم بأمرِ عبادة الله وَحده ، فقالوا له في تحدٍ وكبرياءٍ إذَا كُنْتَ صَادقاً فيمَا تَقُولَ من أنَّك رسولٌ مِنْ ربِّ العالمين ، فَأخرجْ لَنَا منْ هَذه الصَّخرة الصمَّاءِ ناقةً عشراءَ يَتَحركُ جَنِينُها بينَ جَنْبيْهَا ، قَالَ

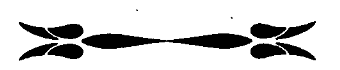
لَهُم : إنْ دعَوْتُ الله فأخرَجَ لكمْ مِنْ تلكَ الصّخْرةِ ناقةً بتلك المواصفات التي طلبتُموهَا ، هل تؤمنونَ ؟! قالوا وأقسمُوا : نعم لنؤمنَنّ لك ولنتبعَنّ دعوتَك ولننَصُرنَّك .

فَأَخَذ صالِحٌ يُصلِّي ويَدْعُو ربَّه تبَارَكَ وتعالى ، فاستَجَابَ الله دُعَاءه ، فإذَا بِهِم وَهُم جُلوسٌ في مجلسهم الذي يَطلُّ عَلَى تلك الصخرَة يجدُونَهَا تتَحطّمُ ويَخَرج منها ناقةٌ عَظيمةٌ مَهيبةٌ عشراءُ يتَحرَكُ جنينُهَا بين جنْبيّهَا ، فَآمَنَ على الفورِ رئيسُهُم وكَانَ يُدْعَى « جندع بن عمرو» وبعضُ من كْانُوا معَهُ ، أمَّا بقيَةُ قومِ ثمودَ كلهم فلم يُؤمنُوا وكذَّبوا ، وتمادوْا في ظُلمِهِم وغيّهم وقَالَ صالحُ عليه السلام لِقومِهِ : هذِهِ النَاقَةُ تشربُ من البئر يوماً هِيَ وَوَلَدُها ، وأنتم تشربون منه يوماً ، قال الله تعالى :

﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾

[الشعراء : ١٥٥] .

وكَانُوا يشربونَ من لَبنها وينتفعونَ منه ، وأخذمنهم صالحُ العهودَ والمواثِيقَ عَلَى ألاّ يتَعَرَضوا للناقَة بأىٍّ أذىً حتى لا يُصِيبَهم عَذَابُ الله تعالى ، فَوَعَدُوه بعدِم التعرضِ لها .



تدبير التسعة رهط المفسدين

كانت هناك امرأةٌ كافرةٌ شديدةُ العَدَاء لصالحٍ عليه السلام ، تكرهُ الحقَّ وتُحبُّ النِّفَاق ، وتَخْدِمُ الْبَاطِلَ وَتعبدُ الأصنامَ ، هذه المرأةُ وتدعى « عنيزة » كانَ لها بَنَاتٌ جميلاتٌ ، فأغرَتْ بهنَّ رجلاً كافراً يُدعى « قدارُ بن سالف » قالتْ له إنْ قتَلْتَ « ناقَةَ صَالح » فلك بناتي الأَرْبعُ اخترْ من شِئْتَ منهُنَّ فتزوجْها ، وَكَانتْ هُناك امرأةٌ أخرى شَابَّةٌ جميلةٌ ذاتُ حَسَبٍ ونسبٍ ومالٍ وشرفٍ في قومِها دَعت رجلاً يُقالُ له « مصدع بن المحيا » قالت له : أنَا لَكَ إنْ أنْتَ قتلتَ : « ناقةَ صالحٍ » .

فَاجْتَمَعَ « مصدع » و « قدار » وَدبَّرَا مَعاً أمرَ قتلِ النَّاقة وَحَتَى لا يغضبَ عَلَيهم القَومُ ، سَعَوْا بينَ رؤساءِ القبائِل لأخذِ الموافقةِ على قَتلِ النَّاقة ، فَوَافَقَهُم سبعةُ نفرٍ

مِنْ رؤساءِ الْقبَائل ، فصارْوا تسعةَ رَهْطٍ وهم : [قدار بن سالف ، ومُصدّعَ بن المحيا ، وهريم ، وصُوْاب ، وريّابَ ، ودَعْمَيُ ، وَهي ، ورُعين بن عمْرو ، وراب] ، فاجتمع هؤلاء التسعة وقرروا أن يَقْتُلُوا النّاقةَ ، وأن يكونَ قدارُ ومصدَّعُ هما من يقومانِ بهذهِ المهمّة ، وانْتَهَزُوا فُرْصة أنَّ صالحاً عليه السلام مشغولاً بدعوةِ النّاسِ إلىَ الخيرِ وتعليمهم عبادةَ الله تعالى وتوحيدهِ ، وبيْنَمَا النّاقةَ ذَاهبةٌ لِتشربَ مِن البئرِ في يَومها المعهودِ لها ، إذ اختبئَ لها « مصدع بن المحيا » خلف صَخرةٍ ، فلَما اقترَبتْ رَمَاهَا بسهمٍ فجاءَها في سَاقها ، ثم جَاءهَا « قِدَارُ بنْ سَالفِ » بالسّيفِ فأجهزَ عَليها، فخرّتْ ساقطة على الأرضِ،ورغت (١) رغاةً وَاحدةً تُحَذّرُ وَلَدهَا فَانطلقَ وَلَدُهَا إلى أعلى الجبلِ ، فقتلُوه أيضاً وأجهزوُ عليه .

---

(١) رغت : صاحت .

وحينَ أَحسَّ الرهْطُ هؤُلاء بمَا فعلُوا من عصيان وكُفْرِ بنعْمَةَ الله وانتِهَاكِ مَا حذَّرهم منه صالحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ من قتلِ النَّاقة ووعدهم بالعذابِ الأليمِ إنْ فعلُوا ذَلك وقتلُوها بعَدَهَا أحسُّوا بهذا الفعلِ الشَنيعِ وسُوءِ عاقبتهم ، فكَّرُوا فَقَالوا : لابدَّ أنْ نذهبَ سريعاً فَنُجْهِزَ على صالحِ ونقتلُه ونُلْحقُه بناقَتِه حتى لا يأتينَا العذابُ .

وَحسبُوا أنَّ الله غافلٌ عما يعملون ، قال الله تعالى .:

﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

بِئْسَ القَوْمُ قومُ ثمودَ ، إنَّهم لم يخافُوا الله ، وخافُوا النَّاسَ ، فتواعدُوا أن يقتُلوا صَالحَ في خفيةٍ من الأَمْرِ ، فإذا تحدَّثَ أحدٌ بمقتِله يَقُولُوا ويُقْسمُوا بالله أنَّهم ما عرفُوا بذلك الأمر حتى لا يتعرضَ لَهَم ولَيُّه ويطلُبُ القِصَاصَ أو

الديةَ ، لكنَّهم يَمكُرُونَ ويمْكُرُ اللهُ واللهُ خيرُ الماكرين ، وبينما هم في طريقهم لِقتلِ صالحٍ عليه السلام وهم عازِمونُ على الأمرِ ويَسيرونَ في ظلماتِ الليلِ حتى لا يَراهم أحدٌ من النَّاسِ ، وبينما هم كذلك إذ أنزلَ اللهُ عليهم حجارةً من السَّماءِ كالمطرِ ، تُصَبُّ فوقَ رؤُوسهمْ صَبّاً ، فأهلكتهم فلم تُبْقِ أحداً ، وحين علم صالحٌ عليه السلام بقتل النَّاقة حزن عليها حُزناً شديداً وبكى ، وعلم أن عذابَ الله ووَعيدُه قَدْ حاقَ بالقومِ الكافِرين ، فقال لَهُم : ﴿ **تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ** ﴾ [هود : ٦٤] ، يعنِي سوْفَ يُصِيبُكم عذابُ اللهُ تَعَالَى بَعد ثَلاثَةِ أيامٍ من هذا اليوم .

هلاك القوم المفسدين

وكانَ أولُ من حَاق بهمْ العَذَابُ هم التسعةُ المفسدون الذين أقسَمُوا على قَتلِ صالحٍ عليه السلام ليْلاً ، فقد عاجَلَهُم الله تعالى بالعقوبة قبل قومهم ، لأنَّهم هم أرادُوا أن يعاجلُوا صالحاً عليه السلام ويقتلوه غَدْراً وغيلة، عَلَى الرغم من أن عشيرَتَهُ قد حذَّرُوهُم منْ قَتْله وَقَالُوا لهم : لا تَقتلُوه وقد وعدكم بالعذابِ فلا تزيدوا ربَّكم عليكُم غَضباً ، وكانَ أن عاجلهُم الله بالعقوبةَ .

وكان قتلُ الناقةِ يوم الأَرْبَعَاء ، وقد وعد صالحٌ قَوَمَهُ أنَّ العذابَ سيحِيق بهم بعد ثلاثةِ أيامٍ يعني يومَ الأحد ، فجلسوا في بيوتِهم في خوفٍ وفزعٍ ينتظرون عذابَ الله ، لا يدرون ما يفعل اللهُ بهم ، وكيف سيكونُ هلاكُهُم ومصيرُهَم ؟!! .

وصَدَقَ نبيُّ الله صالحٌ عليه السلام ، فأصبحوا في اليومِ الأولِ «يَوم الخميس» وجوهُهوم مُصْفَرَّة ، وفي يوم الجمعة أصبَحُوا ووَجُوهم مُحمرَّة ، وأصْبحُوا يوم السبت ووجُوهَهم مسودّة ، فجلسْوا وهم كذلك في اليوم الرابع وهو اليومُ الموعودُ ، جلسوا ينتظِرونَ ما يفعلُ الله بِهِم!! .

وحين أشرقت الشّمْسُ ، جاءت صيحةٌ عظيمةٌ من السّماءِ ورجْفةٌ شديدةٌ من الأرضِ « زلْزَالٌ شديد » فزهقت نفوسُهم ، وهَلَكت أجسادُهم ، فأصبَحُوا صرعى جميعاً ، إلا رجلٌ منهم يسمى « أبو رغال » كان هَذَا الرجلُ حين وقَع بهم العذابُ مُقيماً في الحرمِ فلمْ يُصِبه شيءٌ ، فلمّا خرج أصابهُ حَجَرٌ فقضى عليه .

وهلكت ثمودُ ولم يبْقَ منهم إلا صالحٌ عليه السلام ومن آمن معه ، فقام صالحٌ يحدِّثُهُم قائلاً :

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي

وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) ﴾

[الأعراف : ٧٩] .

وكانَ هذا بعْد هلاكِهم ، حتى يُعذرُ إلى الله تَعَالَى، متى إذا جاء يوم القيامةِ لا يقولون : لم يُرسل إلينا رسولٌ، هذا وقد قام عليه السلام على قَتَلَى « بدر » من المُشركين بعد المعركةِ فخاطبهم قائلاً: [**يا أبا جهل بن هشام ، يا عُتبة بن ربيعـةَ ، يا شيبَة بن ربيعةً ، ويا فلان بن فلان، هل وجدتم ما وعدَ ربُكم حقاً ؟! ، فإِنّي وجدتُ مـا وعِدَنِي ربِّي حقـاً**] ، فقال لـه عُمـر: يارسولَ الله ما تكـلـم من أقـوامٍ قـد جيَّفـوا (١) !! .

فـقـال عليه السلام : [**والذي نفَسي بيـده ، مـا أنتم بِأسمَع لما أقولُ منهم ولكن لا يُجيبون**] (٢) .

---

(١) يقصد : ماتوا .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

العبر والعظات :

[١] كثيرٌ من النَّاسِ عندما يهبهمُ الله القوةَ والمنعةَ ويمنحهُم رزقاً واسِعاً يتكبرون في الأرضِ بغير الحقِّ ، وينْسُوْن حقَّ الله تعالى ، وقد كان قومُ صالح عليه السلام من هؤلاءِ حيث كذبوه واستكبروا على الإيمان وسخروا من صالح عليه السلام وممن اتبعه من بُسطاءِ النَّاسِ .

[٢] السكوتُ عن الباطلِ والرضى به جريمةٌ تجعل صاحبَها شريكاً لمن فعل الجريمة بنفسه ، وهؤلاءِ التسعةُ رَهطُ لم يقوموا جميعاً بقتلِ النَّاقةِ ، والذي قتلها واحدٌ منهم وساعَده آخرٌ ، ومع ذلك فقد جعلَ الله التسعةَ نفر شركاءَ في الجريمةِ ، بل أكثر من ذلك أنْ جعل أهل ثمود كلَّهم شركاءَ في قتلِ النَّاقةِ لأنَّهم رضوْا بقتلِها وكانُوا يقدرون على منعِ القاتلِ ولم يفعلوا بل شجَّعُوه على قتلِها .

[٣] العنادُ والتكذيبُ عندما يملأُ القلبَ يجعل صاحبَه يعمى عن الحقِّ ولا يرى غيرَ الانتقامِ سبيلاً لتحقيقِ ما يُريدُ ، وأهلُ ثمودَ عقروا النَّاقةَ وذبحُوها برغم أنَّها لم تكنْ تسببُ لهم ضرراً ، بل كانوا يشربون من لبنِها ، وكان لها شِربُ يومٍ ولهم شِربُ يومٍ آخر .

[٤] الله سبحانهُ وتعالى مُطّلعٌ علينا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدُور ، وإذا فكّر الإنسانُ في أيِّ شرٍّ أو سوءٍ يجبُ عليه أن يتذكرَ أنَّ الله يراهُ ويعلمُ ما يفعله ، وليَتقِّ الله من يحاربونَ الحقَّ ، فإنَّ الله يمكرُ لهم وهو خيرُ الماكرين .

[٥] جعل الله لنا في مصارع الأقوامِ السابقينَ ومَهالِكهم العبرةَ والعظةَ فإذا مررْنا بديارِهم أو رأينا آثَارَهُم فيجبُ علينا أن نتّعظَ ونقولَ هؤلاءِ قد بنوْا مجداً عظيماً ورغم ذلك أهلكَهُمُ الله تعالى لكفرِهمِ

بنعمته وشركهم وعنادهم .

[٦] ليكن لنا القدوة في رسول الله ﷺ حين مر بديار ثمود وهو ذاهب إلى تبوك عام [٩] هجرية هو وأصحابه رضوان الله عليهم ، فاستقوا من الآبار التي كانوا يشربون منها ، ونصبوا لها القدور وعجنوا منها، ولما علم الرسول عليه السلام بذلك أمرهم أن يهرقوا القدور [١] ، وأن لا يأكلوا العجين الذي عجنوه بهذه المياه « مياه ثمود » وأن يجعلوه علفاً للإبل، ثم رحل بهم وأمرهم ألا يدخلوا هذه الديار .

قال عليه السلام : [**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ؛ إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تبكوا فلا تدخلوا عليهم ؛ أن يصيبكم مثل ما أصابهم**] [٢] .

---

(١) « يهرقوا القدور » : يعني يصبوها على الأرض .

(٢) الحديث متفق عليه .

الأسئلة :

[١] لِماذا جعلَ الله تعالى التسعةَ رهطٍ شركاءَ في الجريمة ؟ .

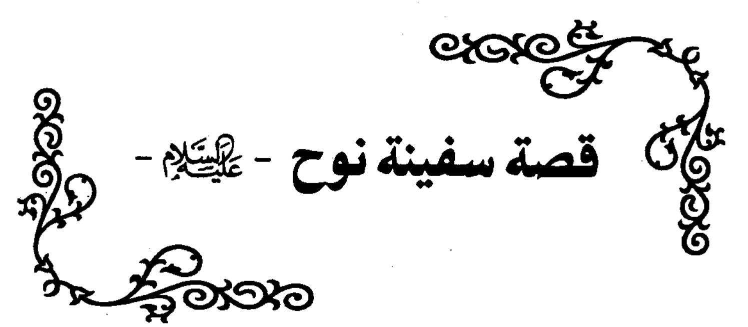
[٢] اذكرْ دورَ المرأةِ في القصة ؟ .

[٣] لماذا كفَرَتْ ثمودُ ؛ رغم أنَّهم رأوْا آيةَ الله أمامهُم كما طلبوا ؟! .

[٤] لماذا عجَّل الله عذابَ التسعةِ رهطٍ قبلَ قومهم ؟!! .

[٥] كيفَ كانَ هلاكُ ثمودَ ؟! .





قصة سفينة نوح - عليه السلام -

قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٢٧) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ

لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً
مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٢٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِن كُنَّا
لَمُبْتَلِينَ (٣٠) ﴾ [المؤمنون : ٢٣ - ٣٠] .

نوح أول الأنبياء بعد آدم

- عليهما السلام -

نوحٌ عليه السلام هو أولُ نبيٍّ إلى البشرِ- بعدَ آدم عليه السلام - وقد بعثَهُ اللهُ تعالى إلى النَّاسِ لما انحرفوا عن عبادةِ اللهِ الواحدِ الأحدِ ، وعبدوا الأصنامَ ، وقد يسألُ سائلٌ : كيف يتركُ هؤلاء الناس عبادةَ اللهِ وحدَهُ، ويلجأون إلى عبادة أحجاراً لا تضرُّ ولا تنفعُ؟! ، وهذا سؤالٌ وجيه ، وفي الإجابةِ عليه عبرةٌ وعظةٌ ، ذلك أنَّه كَانَ هناكَ عباداً صالحينَ وهُمْ أبناءٌ لآدمَ عليه السلام - أبو البشر - وكان هؤلاء العباد هم « يغوث » ، و«يعُوق » ، و « نَسرا » ، وآخرون يقال لهم : « ودًّا » ، « سُواعاً » .

فلما ماتَ هؤلاء الصالحون ، أوحى الشيطانُ إلى قومِهم أن كيف يموتُ هؤلاء الصالحون ، وتتركونَ

سيرتَهم هكذا تضيعُ هباءاً ، لابد أنْ تفعلوا لهم شَيئاً عظِيماً يذكِّركم بِهم حتى تظلوا على عبادةِ الله تعالى كلما تذكرتموهم ، ففكّروا كيف يحفظونَ سيرةَ هؤلاءِ العظماء ؟! ، فوسوسَ إليهم الشَّيطانُ أن اصنعوا لهم تماثيل في أماكنهم التي كانوا يعبدونَ اللهَ فيها ، فكلَّما رأيتم التماثيلَ تذكرتموهم ... فصنَعُوا لهم تماثيلَ ، ومرتْ الأعوامُ والسُّنون ، حتى إذا ضاعَ العِلمُ وتفشي الجهلُ بين النَّاسِ وجاءَ إبليسُ إلى النَّاسِ فقال لهم : إن آباءكم كانوا يعظِّمون هَذِهِ التماثيل ويعبدونها ويستسقونَ بها إذا جفَتْ الزروع ، وجدبَتْ الأرض ، فعبدَها هؤلاء النَّاسُ . وكانوا يدعونها أن تنزلَ عليهم المطرَ من السماءِ كما خدعهم إبليس بهذا الأمر ! .

فأرسلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إليهم رجل منهم كان مؤمناً ، نقيَّ السريرة ، صادقَ الحديثِ ، أميناً بين النَّاسِ ، على

الفطرةِ السليمةِ ، هذا الرجل هو « نوحٌ عليه السلام » ، فأخذَ نوحٌ عليه السلام يدعـوهم إلى عـبـادةِ الله الواحـدِ الأحـد ، ويذكرهم بأنَّ هذه التماثيلَ التي يعبدونَها ليست آلهةً وأنَّ الشيطانَ قد خدعهم ولا يمكن أن تكونَ تلك الأحجارُ الصماءَ آلهةً من دونِ الله ، فماذا كَانَ جوابَ قوْمِهِ ؟! .

لقد كذَّبُوه ، واستهزأوا بـهِ وبمن مَعَهُ مِنَ المؤمنين ، فقـد آمـنَ معه عـددٌ قليلٌ من النَّاسِ ، لكن نـوح عليه السلام لم ييأسْ مِنْ دعوتهم إلى الحـقِ ، فـاتبعَ مـعـهم كل وسيلـةٍ نافعةٍ ، فدعاهم سـراً وجـهراً ، ليـلاً ونهـاراً ، وترغيباً « في الجنَّـةِ والرزقِ في الدنيا » وترهيباً « من النارِ والعـذابِ في الآخـرة » ، فلم تفلـح تلك الوسائـلُ في هدايتـهم إلى الحقِ ، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ

وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) ﴾

[نوح : ٥ – ١٢] .

لقد كَانَ العنادُ سُلوكَهم ، والإعراضُ طريقَهم ، وليس هذا فحسب بل الإصرار على الكفر ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) ﴾ [نوح : ٢٣] ، وقالوا له : أنتَ بشرٌ مثلنا فكيف تكون رسولاً إلينا ؟! ، وإن هؤلاء الذين آمنوا معك قومٌ فُقراء ضُعفاء بمجرد أن دعوتهم صدقوكَ ، فَهُم ليس لديهم منطقٌ ولا حُجةٌ ! ، قال تعالى : ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ

اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) ﴾[هود : ٢٧] ، لقد تعبَ نوحٌ في دعوتِهم أشدَّ التعبِ ، فقد مكثَ يدعوهمُ ألف سنةٍ إلا خمسينَ عاماً ، ويحاول جاهداً أن يُجادلَهُم بالحسنى ويبيِّنَ لهم ضلالَ طريقِهم ، وألا يغتروا بقُوتَهِم ويُحذّرهم من عذابِ الله إنْ ظلوا على كُفرِهِم وعنادِهم ... كُل ذلكَ ولا مُجيب .

صنع السفينة :

وصلَ نوحٌ معهم إلى طريقٍ مسدودٍ ، وشعُرَ أنَّ هؤلاء النَّاسِ قد عميت قلوبهم ، وأنهم ليسوا على الضلالِ فقط ، ولكنهم يدافعون عنه ويتواصون به ويحضّونَ بعضهم البعض على الكُفرِ والعناد والتكذيب بآيات الله ، فدعا نوحٌ ربَّهُ فقال : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا

إلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) ﴾ [نوح: ٢٦-٢٧]، وأراد اللهُ تعالى أن يطمئنَّ نوحٌ عليه السلام والمؤمنين الذين معه؛ فقال تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) ﴾ [هود :٣٦] لقد طُبع على قُلوبهم بتكذيبهم ، وأنهم تحدّوا نوحًا أن يأتيَهم بعذاب الله فقالوا : ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) ﴾[هود : ٣٢]، فحقَّتْ عليهم كَلِمةُ العذابِ، وأَوحى الله إلى نوحٍ عليه السلام أن يبدأ في صُنعِ سفينةٍ عظيمةٍ وضخمةٍ،قال تعالى: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧) ﴾ [هود : ٣٧] .

وشرَعَ نوحٌ عليه السلام في بناءِ السفينةِ، وحينما مرَّ عليه قومه الكافرين استهزأوا به وسخروا منه وقالوا:هذا رجلٌ مجنونٌ كيف يصنعُ سفينةً في صحراءٍ؟ماذا سيفعلُ بها ؟! ، ولا

يدركون أنهم سوف يحيقُ بهم العذاب وهو أنهم سيغرقون جميعاً وسينجو نوح ومن معه في السفينة .

قال الله تعالى : ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) ﴾ [هود : ٣٨] ، نعم فَمَنْ أحق بالسخريةِ والاستهزاءِ نوح عليه السلام ومَنْ آمنَ معهُ الذين سوفَ ينجيهم الله تعالى من الغرقِ ، أم قومه الذين كذّبوا وتجبّروا وتكبّروا وظنّوا أنهم ناجينَ مِنَ العذابِ وأن نوحًا كذاب هو ومن معه ؟!! .

أخذَ نوحٌ عليه السلام يجمعُ الأخشابَ من هنا وهناك ليبني السفينةَ العظيمة التي أمَرَهُ اللهُ بصنعها ، وساعدهُ مَنْ مَعَهُ من المؤمنين الذين صدّقوه بالحقِّ الذي جاءَ به ، وظلَّ نوحٌ عليه السلام يبني تلك السفينة سنينَ عدّة ، ويحذرُ قومَهُ من العذابِ والهلاكِ لعلّهم يستجيبون لدعوته قبل أن ينزلَ

بهم عقابُ الله ، لكن دون جدوى ، وحَانَ الموعدُ واقتربَتْ الساعَةُ - ساعة هلاكهم - وكَانَ نُوحٌ قد أتمَّ صنعَ السفينة على أكملِ وجهٍ ، فأمره الله تعالى أن يحملَ فيها مِنْ كُلٍّ الحيوانات والطيورِ زوجين اثنين ، حتى يحفظَ الله نسْلَهُم جميعاً ولا يُهلكون ، وأن يحملَ أهلَه المؤمنين في السفينة، وكذلكَ يحملُ معهُ كل من آمن مِنَ النَّاسِ وما آمنَ معه إلا قليل من النَّاسِ ، قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ (١) قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود : ٤٠] .

الطُّوفَان :

ولما حانَ الموعدُ الذي قدَّرَهُ الله تعالى لإهلاكِهم ، وكَانَ نوحٌ ومن معهُ من المؤمنينَ على أهبةِ الاستعدادِ

(١) التنور : وجه الأرض .

لركوبِ السفينة ، أنزل الله عَزَّ وجَلَّ مِنَ السماء مطراً عظيماً لم ينزلْ مثلهُ من قبل ، وتفجَّرت الأرضُ بالماء ، فالتقى ماءُ الأرضِ وماءُ السماء وتلاطمَتْ الأمواجُ تلاطماً ، فتعالَتْ حتى أصبحَتْ أعلى مِن الجبالِ الشامخَة ، قَالَ الله تعالى : ﴿ **فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢)** ﴾ [القمر : ١١ ، ١٢] .

وقال أيضاً : ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾ .

[هود : ٤٢] .

وكان نوحٌ عليه السلام قد ركبَ السفينةَ وحملَ معه من الطيورِ والدوابِّ من كل زوجين اثنين،وحملَ أهْلَهُ جميعاً إلا امرأته وأحد أبناءه أبوا أن يركبوا مع نوح عليه السلام ، وكفروا بالله تعالى : ﴿ **وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ**

جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ .

[هود : ٤٢] .

وقد كَانَ لنوحٍ عليه السلام حينئذٍ أربعة أبناء وهُم « حام » ، و « سام » و« يافث » و« يام » ويسمى « كنعان » أما يام « كنعان » فهو الذي أبى أن يركب مع أبيه وإخوته ، فكان من المُغْرَقين، وركب الجميع باسم الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) ﴾ [هود: ٤١].

وخاضتْ السفينةُ غمارَ الأمواجِ بحفظ الله تعالى ، وحَفظَ اللهُ المؤمنينَ وهلكَ الكافرينَ جميعاً ، فلم يبقَ على وجهِ الأرضِ أحدٌ إلا مَنْ كانَ مع نوح عليه السلام في السفينة ، وبعد أن قضى اللهُ أمراً كان مفعولاً وأغرقَ الكافرين جميعاً، أمسكتْ السماءُ عن المطرِ ، وابتلعَتْ الأرضُ الماءَ الذي

عليها، ورستْ سفينةُ نوحٍ عليه السلام على جبلٍ عظيمٍ يسمى« الْجُودِيّ » ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) ﴾ [هود : ٤٤] .

وبعد أن نجَّى الله نوح عليه السلام ومن معهُ من الغرقِ ، تذكَّرَ نوحٌ عليه السلام ابنه « يام » ، وقال في نفسهِ : ألم يعدني ربي أنَّ أهلي سوف ينجون من الغرق ، وإن ابني من أهلي فكيف يغرق ؟! ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) ﴾ [هود : ٤٥]، فماذا كان ردُّ الله تعالى عليه؟، إن نوح عليه السلام قد نسى أن الله تعالى قال له:﴿ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ﴾ [المؤمنون : ٢٧]، يعني : إلا من كَفَرَ منهم ، وابنه « يام » كانَ قد كَفَرَ ، وأَبَى أن يركبَ معه السفينةَ ، لكنَ الله عَزَّ وجلَّ أرادَ في هذِهِ الآية أن يؤكد

معنى عظيماً ، وهو أنَّ المقصود بالأهلِ « المؤمنون » فقط ، فإذا لم يكن مؤمناً فهو ليس منَ الأهلِ ، قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [هود : ٤٦] .

وكانَ مِنْ نعمةِ اللهِ على نوحٍ عليه السلام أن جعلَ بقاءَ العالَم كله ووجوده من نسلِ نوحٍ عليه السلام ، فكل من كانَ معه من المؤمنين لم يبقَ من نسلِهم أحدٌ ، كما لم يبقَ من نسْلِ الكافرين طبعاً أحد لأنَّهم غرقوا جميعاً وهَلكوا ، فكان أبناءُ نوحٍ الثلاثة : حام ، سام ، ويافث ، هم أصلُ جميعِ البشرِ الموجودين اليوم في الدنيا ، قال رسول الله ﷺ : « **سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو الروم** »(١) .

---

(١) رواه أحمد والترمذي بمثله .

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧) ﴾ [الصافات : ٧٧] ، وقد كان نجاةُ السفينة فيما يُروى في العاشرِ من المحرم وهو ما يسمى بيومِ «عاشوراء» وقد مرّ النَّبي ﷺ بقومٍ من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء ، فقال : « **ما هذا الصوم** » ؟! ، قالوا: هذا اليوم الذي نجّى الله فيه موسى وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون ، وهذا اليوم استوتْ فيه السفينةُ على الجُوديِّ ، فصامهُ نوح وموسى عليهما السلام شكراً لله ، فقال النَّبي ﷺ : « **أنا أحقُ بموسى وأحقُ بصوم هذا اليوم** » ، وقال لأصحابِهِ رضوان الله عليهم : « **مَنَ كَانَ منكُم أصبح صائماً فليتم صومَهُ** .. » (١) .

قَالَ الإمامُ ابنُ كثير: وهذا الحديثُ له شاهدٌ في الصحيحِ من وجهِ آخرَ ، والمستغربُ هنا ذكرُ نوحٍ أيضاً ... واللهُ أعلم .

---

(١) رواه أحمد .

هذا وإنَّ قومَ نوحٍ عليه السلام أولئك الذين كفروا وهلكوا سوف يُبعثون يوم القيامة ، وبكل بجاحةٍ يُنكرون أن نوحًا عليه السلام قد أُرسِلَ إليهم أو نصحهم ... بعد كل ذلك !! .

قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ « **يجئ نوحٌ** عليه السلام **وأُمَّتُه** - يعني يوم القيامة - **فيقولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : هل بلّغت ؟!، فيقولُ : نعم ، أي رب ، فيقولُ لأُمَّته : هل بلغكم ؟! ، فيقولون : لا ، ماجاءنا من نبى، فيقولُ لنوحٍ : من يَشْهَدُ لكَ ؟! فيقول: محمدٌ وأُمَّتُهُ ، فنشهد أنه قد بلّغ** » (١) .

وذلك لقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .



(١) رواه البخارى .

العبر والعظات :

[١] عدم صنْع التماثيل واتخاذها تعظيماً لأحدٍ من البشرِ، فقد حرَّمَ الإسلامُ اتخاذَ التماثيلِ لهذا الغرض ولغيره ، وتخليدُ العظماءِ في الإسلام لا يكون بصُنعِ التماثيلِ لهم وإنما بالسيرةِ الطيبةِ العطرةِ وبأعمالِهم الصالحة العظيمة التي تدلُّ على صلاحِهم وتقواهم . والأدلَّةُ على تحريمِ اتخاذِ التماثيل كثيرةٌ وكلها في الصحيحين البخاري ومسلم ، ويستثنى من التحريمِ ما كان يُتَّخَذُ لعباً للأطفالِ ونحوها ، والتي تُمتهن بقطع رأسها وتشويهها .

[٢] الذي يقومُ بواجبِ الدعوةِ إلى الله يجبُ أن ينوعَ من أساليبِ دعوته كما فعلَ نوحٌ عليه السلام ويستخدم الترغيبَ في الجنَّةِ وثوابها ، والترهيبَ من النَّارِ وعذابِها مُحاولاً الوصولَ إلى قلوبِ النَّاسِ لهدايتهم

إلى دينِ الحقِ وإلى طريقِ الخيرِ والهدى .

[٣] عادةُ الكافرينَ الإستهزاءُ بالمؤمنين ، فلا يجبُ أن يفتَّ ذلك في عضدِ المؤمنين ، ولكن عليهم أنْ يصبروا ويعلموا أنَّهم على الحق .

[٤] ليس شرطاً أن يخرجَ أولادُ الرجلِ الصالحِ كلهم صالحون، فهذا « يام » من نوح عليه السلام ولم يؤمن به وهلكَ مع الهالكين ، ولكن على الوالدِ أن يبذلَ قصارى جهدهِ في إصلاحِ أولادهِ وهدايتهم .

[٥] رابطةُ الإيمانِ باللهِ تعالى والعمل الصالح أقوى من رابطة النسب فهذا ابن نوح قال الله عنه : ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ [هود: ٤٦] ، فاعتبر اللهُ تعالى أنَّ الأهلَ هم المؤمنونَ، وإن لم يكونوا على صلاتٍ وأنسابٍ بينهم ، فرابطةُ الإيمان هي أقوى الروابط التي تربطُ النَّاسِ بعضهم البعض.

[٦] النَّصرُ حليفُ المؤمنين وإن غَابَ عنهم زمناً طويلاً ، والهزيمةُ نصيبُ الكافرين وإن تمتعوا بالدنيا جيلاً وجيلاً .

[٧] عندما يستوى « يركب » المسلم على ظهرِ الدَّابةِ أو غيرها من وسائلِ المواصلاتِ يُسَمِّ الله تعالى وليقل: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الزخرف: ١٣ ، ١٤] .

[٨] نحن أُمَّةُ محمدٍ ﷺ سنكون إن شاءَ الله شهداءَ على النَّاسِ جميعاً يوم القيامةِ مع الأممِ السَّابقةِ لأنَّ اللهَ تعالى قد أخبرَنا بأخبارِهم في كتابِهِ العزيز « القرآن الكريم » ونحنُ على ذلك من الشاهدين ، وسنشهدُ على قومِ نوحٍ عليه السلام أنَّهُ أُرسِلَ إليهم ، وأنهُم كَذبوه .



أسئلة :

[١] كم لبث نوح عليه السلام يدعو قومه من الأعوام والسنين ؟ .

[٢] أذكر أولاد نوح الذين آمنوا معه ومن كفر منهم ؟ . وماذا كان جزاؤه ؟ .

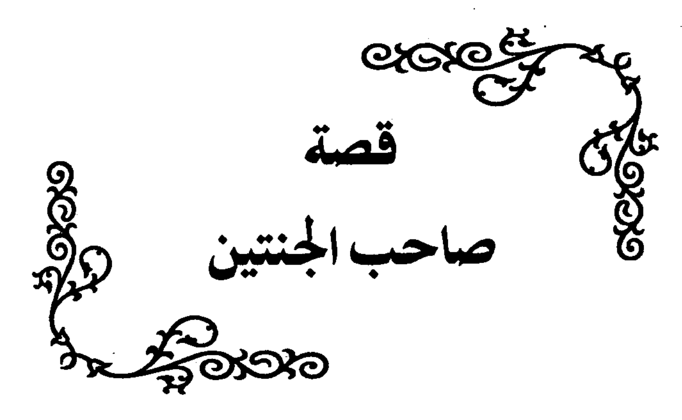
[٣] لماذا رفض قوم نوح دعوته إليهم بالتوحيد وعبادة الله تعالى ونبذ عبادة الأصنام ؟ .

[٤] لماذا سخر قوم نوح منه عندما رأوه يصنع السفينة ؟ . وماذا كان رده عليهم ؟ .

[٥] لماذا أمر الله نوح عليه السلام أن يأخذ في سفينته من كُلٍ زوجين اثنين ؟ .

[٦] ماذا تقول عندما تركب الدابة أو ما شابهها ؟ .





قصة
صاحب الجنتين

قال الله تعالى :

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا

(٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ
بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن
يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ
فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ
لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ
فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ
بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا
كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) ﴾ [الكهف : ٣٢ - ٤٣] .

تَمليخَا ونِعْم الله عليه

كان في بني إسرائيل رجلٌ يُسمَّى « تَمليخا » أعطى الله تمليخَا مالاً عظيماً ، ووهبهُ جَنتين (١) ، عظيمتين ، كانت الجنتَان تمتلأَن بعنَاقيد العنبِ الجميلة ، وقد أحاط النخيلُ بهاتينْ الجنَّتين في مَنظَرٍ بديعٍ ، وكَانتْ الزرُوع الخضَراء تنتشرُ في المساحةِ الواسعةِ بين الجنتين ، والأَنهارُ العذبةُ تُغذِّي النخيلَ والزروعَ بماءِها العذبِ الزُلالِ ، فَكنتَ إذا مررتَ على الجنَّتين شَعرتَ بالسرورِ وبراحةِ النَّفسِ ، واستْوقفكَ هذا المنظرِ الرائع .

ونَضجتُ الثمارُ التي امتلأت بها النخيل ، وآتَتْ الجنتين أُكُلها مِن عناقيدِ العنبَ النانضجةِ الجميلةِ ، وحَان موسمُ الحصادِ ، فماذا فَعل « تَمليخا » بما

(١) جنتين : حديقتين .

أَعطاه اللهُ ومنحهُ مِن المالِ الوفير ، والثمرِ الكثير ؟! .

قامِ « تمليخا » بحصد الثمار ، والعنبِ وبيْعِها ، وأصبح مزْهوّاً (١) ، بما يملكُ مِنَ مالِ كثيرٍ ، ونسى « تمليخا » حقَّ الفقير والمسكين، فلمْ يتصدقْ أو يُطعم جَائعاً مما أنَعم الله عليه .

وكان هُناك صَديقٌ حميم « لتمليخا » ويُدعَى «نُطروس » كان « نُطروس» شَريكاً مِن قبل «لتمليخا» في ماله ، ولكن « نطـ روس » فضَّ شركته مع صاحبه « تمليخا » لِسُوءِ مَعاملته ، ولطمعه وجشعه ، وعدم إيمانه بالله تعالى، وقدْ كان « نطروس » - بِخلاف صَاحبه - مؤمناً يتصدَّقُ على الفقراءِ والمساكين ، ويُحبُّ الخيرَ للناسِ ، مُتواضعاً غيرَ مُتكبرًّ عليهم .

ذهب « نُطروس » يَعظُ صَاحبَه « تمليخا » ويُذكّره

(١) مزهوّاً : مفتخراً .

بالله، قال « نُطروس » لصاحبه : ألا تُعطي حقَّ الفقير والمساكين ؟! .

« **تمليخا** » : ولماذا أُعطى للفقير والمسكين من مالي الذي تَعبتُ فيه ، وفي جَمعِه واستثماره ؟! .

« **نطروس** » : إنَّ المالَ مالُ الله وهُو الذي أنعم عليك ووهبك هذا المال .

« **تمليخا** » : إنَّك تَحسُدني لأنني أكثر منك مالاً وولداً.

« **نطروس** » : لا تغترّ بمالك حتى لا يَحرمُك الله منه فتُصبح فقيراً ليس عندك شيء .

« **تمليخا** » : إنّ الله يُحبني ولولا حُبُّه لي لما أعطاني هذا الخير الكثير.

« **نطروس** » : إنّ هذا ابتلاءٌ [١] ، لك وليس دليلُ حبٌّ من الله تعالى، فاتّق الله ولا تكنْ من المتكبّرين.

---

(١) ابتلا : امتحان واختبار .

« **تمليخا** »: ما أظنُّ أبداً أنْ يفنى هذا المال أو أفقدَ هذا النَّعيم الذي أنا فيه، فهو قدري لأنني أستحقه.

ويَدخُل « تمليخا » جنَّته مَزهوّاً فرِحاً مُنتفشاً ويقول: ﴿ **مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا** ﴾.

هل يُمكن أنْ يأتَي وقتٌ لا تُثمر فيه هذه الحدائق ؟ أو تَهلك هذه الثمارُ والزروعُ ؟! ..كلا.. لن يحدث هذا أبداً.

هكذا فكَّر «تمليخا » وسَوَّلتْ له نَفسُه أنَّه مِن المنعمّين، وأنَّ من يأمرهُ بالخير إنما يَحقدُ عليه ويَحسُده !!.

« تمليخا » يُنكرِ يوم القيامةِ :

ووصلَ الغرورُ والكبرُ وحبُ الدنيا « بتمليخا » إلى إنكارِ يومِ البعث والنشور ، فقال قولته المهلكة : ﴿ **وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦)** ﴾ ، يعني إنِّي على يقين بأنَّه ليس هُناك يومُ قيامةٍ ، ولو كانَ هناك هذا اليوم فإنَّني سأكونُ من

الفائزين ، وسيمنحني الله خيراً مِن هاتينْ الجنّتين !! .

إنَّه غرور الكافر ، وتصويرٌ زائفٌ من الشيطانِ لكلِّ مَن يبعد عن طريق الله ، ويسير في طريق الضلال ، لكنَّ صاحَبُه المؤمنُ « نُطروس » لم يسكتْ أمام هذا الكفرِ الصريح ، وواجه « نُطروس » « تمليخا » بقوَّة وصَرخ في وجهه ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾ ، أىْ كيف تكفرُ بالله العظيم؟ وهو سُبحانه وتعالى سَببُ وجودكَ في هذه الحياة، حيثُ خَلق آدمَ مِن ترابٍ ، ثم خلق نسله ذريتَّهُ جَميعاً ، وأنتِ أَحَدُ هؤلاء ، وقد سوَّاكَ الله ورعاك حتى كبرت فأصبحت رجلاً قوياً ... فهل حسبتَ أنَّ الله خلقك هكذا هباءاً بغيرِ هدفٍ وأنَّك لَنْ تُحاسب على أعمالك في الدنيا ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) ﴾ [المؤمنون : ١١٥] .

ثُمَّ يُعلن « نُطروس » إيمانهُ باللهِ تَعالى وتَوْحِيده أمام الناس جميعاً حتى لا تحدث لهم فتنة بسبب كفر صاحبه، فيقولُ : ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) ﴾ ، ثُّم يُخاطب صاحبهُ فيقول : ﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ ، يعني لو أنّك حين دخلت جنتكَ تذكَّرتَ اللهَ تعالى ، فذكرتهُ ولمْ تغتّر بمالك وثمارك !! .

ويتذكر « نُطروس » قولَ صاحبهُ له : ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ ، فيقول « نُطروس » « لتمليخا » قولَ صَاحبه له : ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾ .

لا تظنُّ يا « تمليخا » أنَّ هذا النعيم دائمٌ ، إنَّ الله

قادرٌ على أن يُهلكَ ثمارَكَ وزروعكَ فيجعلها هشيماً ، وتُصبحَ أرضكَ خاويةً بغير زرعٍ ولا ثمرٍ ، إنّ الله يُوتي المُلك من يشاء ، وينزعُ الملك ممّن يَشاء .

إن الله سبحانه وتعالى قادرٌ على أنْ يهبني خيراً من جنّتك التي تفتخر بها عليَّ وعلى الناس ، ماذا تَفعلُ يا «تمليخا » إذا أصبحتَ يوماً فلم تجدْ ماءاً تسقى به جنتك ؟! ، أو وجدتَ الماءَ غائراً في الأرضِ ولم تقدْر على استخراجِه والانتفاع به ، أليس الله قادرٌ على ذلك ؟! هل عندك شكٌ فِي هذا ؟! ، يُفكّر «تمليخا » فيَ كلام صَاحبه ، ويسرحُ في نفسه ، لكنَّ الشيطانَ يقول له : لا تُصدَّقه إنَّه حَسودٌ يَحقدُ عليك ، إن هذا المالَ وتلك الزروعَ لا يُمكن أنْ يزولا ، إنّ الله فَضَّلك على هؤلاء الناسِ بالمالِ والبنين ، فَيستمرُّ « تمليخا » في عِصيانه أوامَر الله تعالى ، وتكذيبِ دَاعي الإيمان ، والإستخفافِ

بشأنِ غيرِهِ مِن الناس وخاصة الفقراء والمساكين .

يُصبح « تَمليخا» فَيخرجُ إلى جنّاتـه وأنهاره كعادتـه كلَّ يومٍ ؛ فيجدُ شيئاً عَجيباً ، الأنهارُ قدْ جَفَّتْ ، والزروعُ والثمارُ قد هَلَكتْ ، الأرضُ التي كانت خَضراء ناضرة أصبحتْ سوداءَ مُكْفَهِرَّة ... « تمليخا » يُحدِّث نفسه فيقول : لابد أنني قد ضللتُ الطريقَ هذه ليستْ جنّتي ، وتلك الأرضُ ليستْ أرضي، أرضي خضراء وجناتي مُثمرة تمتلأُ بعناقيد العنب التي لم تهلك في يومٍ من الأيام ... ثُمّ يعودُ إلى نفسه ثانية فيرى أن هذه الذي يراهُ حقيقةً واقعة ، يُدرك « تمليخا » أن هذا إبتلاءُ الله وعذابُه لمن كفَرَ بنعمته ، فأصبح يُقلّب كفيَّه على ما أنفق في تلك الأرض وهي خاويةٌ على عُروشِها ، ويقولُ يا ليتني لم أُشركْ بربَي أحداً ، ولم يستطيعْ « تمليخا » أنْ يردَّ عذابَ الله أو أنْ يُرجعَ شيئاً ممَّا فقده، وندمَ بعد فوات الأوان، قال

الله تعالى: ﴿ ولَمْ تكن لَّهُ فِئَةٌ يَنصرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) ﴾ .

الرجل المؤمن وصاحبه يوم القيامة :

يَعرج(١) بنا كتابُ الله تعالى إلى يوم الدين، يومِ البعثِ والنشورِ لنرى ذلك المشهدِ العظيم،مشهد الرجلِ المؤمنِ وصاحبِه المشرك ، فبينما دخل أهلُ الجنَّة الجنَّة وأُنزلُوا منازلَهُمْ ، ودخل أهلُ النارِ النارَ وأُلزموا مَداركَهُمْ (٢)، يقول أحدُ المؤمنين ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) ﴾[الصافات:٥١-٥٣] .

يعني : لقدْ كان لي صديقٌ يُجادلني في يوم القيامة ويُكذِّب به ، ويقولُ لي : كيف تُصدِّق أَنَّا بَعد أن نموتَ وتفنى أجسادُنا أننا سوف نُبَعثُ مرةً ثانية ، هذا رجعٌ بعيد

(١) يعرج : يصعد .
(٢) مداركهم : أماكنهم فى النار حسب أعمالهم .

لا يُمكن أنْ يحدثَ ، يقول الله تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) ﴾ [الصافات : ٥٤ - ٥٥] ، ينظرُ فيرى صاحبَه الكافر في النارِ وبئس المصير - نعوذ بالله منها - فيقول له :

﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١) ﴾ .

[الصافات : ٥٦ - ٦١] .

يُخاطبُ الرجل المؤمن صاحبه الكافر الذي كان مُنعماً في الدنيا وعنده الجنات والأنهار والزروع والثمار [١] ،

---

(١) ذكر الإمام ابن كثير فى تفسيره أن الرجل وقرينه المذكورين فى سورة الصافات هما « صاحب الجنتين » وصاحبه المذكورين فى سورة الكهف . انظر : « مختصر تفسير ابن كثير » « ٣/١٨٠ وما بعدها » اختصار وتحقيق « أ . د محمود على الصابونى » .

وهو الآن في وسط النار مع المُفْسدين والأشرار ، يقول الرجلُ المؤمنُ لصاحبه موبِّخاً ، أتذكرُ حالَك في الدنيا ؟! أتذكرُ حين كُنتَ تُجادلُني في يومِ القيامة ، وتقولُ لي : كيف تُصدِّق بهذا اليوم ، هل بعد الموتِ من حياةٍ ؟! ، ما رأيُكَ اليوم في هذا الكلامِ ؟! أَدَركتَ أنَّ هذا حقٌّ ! ، الحمدُ لله إنَّني لمْ أتبعُكَ وأكفرَ بالله ، وإلا كنتُ أصبحتُ معكَ في النار وأعوذُ بالله منها ، لولا نعمةُ الله وفضلُه عليَّ لكنتُ من الهالكين ، وهكذا تكون نهايةُ كلِ ظالمٍ لنفسه مُبين ، وكُل متكبِّر يأكلُ حقَّ الفقير والمسكِين ، وكُلُّ مَن يكذِّب بيومِ الدين ... .



العِبَرُ والعِظَاتُ :

[١] الإبتلاءُ في قَدْ يكونُ بالخير ، وليس بالشرِّ فقط ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ⁽١٥⁾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ⁽١٦⁾ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ⁽١٧⁾ ﴾ [الفجر : ١٥ - ١٧] ، فالكرمُ والنعيمُ الذي يمنحُه الله لعباده اختبارٌ لهم ليرىَ هل يَشكُرون الله أمْ يكفرُنه ويَغترُّون بما وهبهم مِن مالٍ وجاه! .

[٢] الأموالُ والأولادُ من أكبر الفتن التي حذَّرنا الله منها ، قال الله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال : ٢٨] ، فصاحبُ الجنتين اغترَّ بكثرة أمواله وأولاده ، وتكبَّر على صاحِبه فقال له : ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ ،

وكان خوفُ « تمليخا » على مالِه والنُّقصان سبباً في مَنْعه حـقَّ الفـقير والمسكين وعدم تصدُّقه ، فكان مالُه سبباً لهلاكه .

[٣] المسلمُ إذا رأى شيئاً من ماله أو مالِ غيره، فأعجبه فَليقُلْ ﴿ **مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ** ﴾ ، ويحمدُ الله على كل النعم،حتى يُبارك الله له في مالِه وصحته، قال رسول الله ﷺ:« **ألا أدُلُّك على كنزٍ من كُنوزِ الجنة، لا حَولَ ولا قوَّة إلا بالله** »(١) .

[٤] المسلم لابد أنْ يقومَ بواجب النَّصيحة لصاحبِه إذا وجدَه على طريق الضلالِ ، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ : « **الدِّين النصيحةُ** » قلنا لمن يا رسول الله ؟! ، قال ﷺ : « **لله ولكتابه، ولرسولِه ، ولأئمة المسلمين وعامَّتهم** »(٢) .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه مسلم .

[٥] يومُ القيامة حقٌّ ، وفيه يُحاسب كل إنسانٍ على ما قدَّم في حياته الدنيا ، والعاقِل من يعمل الخير في الدنيا ، ويشكرَ الله على نعمه العظيمة ، ولا يتكبّر على عبادِ الله .



الأسئلة :

[١] ماذا قال صاحبُ الجنتين حِين دخلَ جنَّته ؟ ، وعلى أي شيءٍ يدلُّ قوله ذاك ؟! .

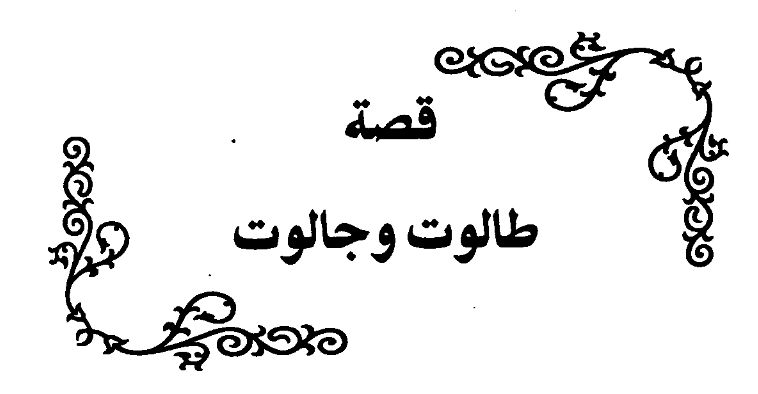
[٢] ماذا يجبُ على المسلم أنْ يقول حين يَرى نِعمةَ منْ نَفسه أو مِن غيره ؟! .

[٣] هل كان صاحبُ الجنتين يتصدَّق على الفُقراء والمساكين ؟ ، ولماذا ؟ .

[٤] ماذا يجبُ عليك إذا رأيتَ إنساناً مُتكبِّراً ، يأتي معصيةَ الله تعالى أمام النَّاسِ ؟ .

[٥] ماذا أصابَ صاحب الجنتين في الدنيا ؟ ، وماذا كان عقابَه في الآخرة ؟! .





قصة
طالوت وجالوت

قال الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ

وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ
التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ
هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ (٢٤٨) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ
مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ
مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ
فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ
بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن
فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ
(٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم
بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ
لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) ﴾

[البقرة : ٢٤٦ – ٢٥١] .

بني إسرائيل
والبُعد عن منهج الله تعالى

لمْ يكن البلاءُ الذي حلّ ببني إسرائيلَ من بعدِ موسى عليه السلام إلاَّ نذيراً لهم ، لبعدهم عن مَنهج الله تعالى ، وتركهم تعاليمَ دينهم فقد ضلُّوا كثيرٌ منهم وعبدوا الأصنامَ ونسوْ الله فأنساهُم أنفسَهُم ، وسلَّطَ الله عليهم عدوَّهُم ، فقتلَهُمْ وشرَّدَهُم ، وسلَبَ ما في أيديهم من الخيراتِ ، وأكثرُ من ذلك استولى على كتابهم المقدَّسَ « التوراة » ، وأخذ منهم التابوتُ الذي توارثَتْه أجيالُهم وكان فيه الخيرُ والعلمُ الكثيرُ ، ولم يبقَ فيهم من يحفظُ التوارةَ إلا القليلُ ، وانقطعَ الأنبياءُ فيهم زمناً ، حتى أذنَ الله تعالى أنْ يبعثَ فيهم نبياً كريماً ليردَّهُم عن غَيِّهم ، ويسيرَ بهم في طريقِ النورِ والإيمانِ .

هذا النبيُّ « شمعُون » الذي يعرفونه ويعرفون نُبلَهُ وأخلاقَهَ وكريمَ صفاته ، فأمرهُمْ بعبادة الله وحَده لا شريكَ له ، ونبذ تلكَ الأصنامِ وتحطيمها ، وبعدَ أنْ عادَ بنو إسرائيلَ إلى رُشْدِهم ، تذكروا أنَّ التوارةَ قد سُلبتْ منهم وكذلك التابوتُ وأنَّهُم مشردُون مطرودون من أرضِهم ، فطلبوا من نبيِّهم أنْ يختار لهم مَلكاً يكونُون تحت إمْرتِه ويقاتلونَ في سبيلِ الله ليستردُّوا ملكَهُم وما سُلبَ من أيديهم ، وفقالوا لنبيِّهُم : ﴿ **ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ ، وتذكرَ «شمعون » ما فعلُوه من قبلْ من الفرار أمامَ الأعداء ومعصية الأنبياء، فقالَ لهم : ﴿ **هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا** ﴾ ، يعني هل ستقاتِلُون حقاً أم سيكون الفرار منكم كما حَدثَ من قبل ؟! .

فاستنكروا كلامه وقالوا له : كيف لا نقاتلُ

ونحن بهذه الحالة وقد سُلِبَتْ ديارُنا وأموالنا وأملاكنا ؟! .

فاختارَ لهم نبيُّهم « طالوتَ » مَلِكاً عليهم بإذن الله تعالى ، وأخبرهم أنّ الله تعالى قد جعل لهم «طالوت» مَلِكاً ، وكان « طالوتُ » رجلاً قويّاً ذَا علمٍ وبأسٍ ، لكنّه كان فقيراً من بيتٍ متواضعٍ ، لم يكنْ من عِليةِ القوم ولا من كبرائِهِم ، فماذا فعل بنُوا إسرائيل ؟ ، هل رضُوا بحكم الله واختيار طالوتَ مَلِكاً عليْهم ؟! .

لقد قالوا لنبيِّهِم مُعْتَرضين :

﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

لقد حسدُوه على أن اصطفاهُ الله عليهم وهو فقيرٌ ، إنَّهُم لا يدركون أن الله عليمٌ بحالِ عبادهِ خبيرٌ ، فردّهم

نبيّهُم إلى الحقّ بأنَّ هذا اصطفاءُ الله حيثُ أنَّ المُلْكَ يحتاجُ إلى العلمِ وقوةِ الجسْمِ وطالوتُ قد زادهُ الله بسطةً في العلْمِ والجسْمِ .

ثم قال لهُم نبيُّهُم :

إنَّ علامةَ بركةِ مُلكِ طالوتَ عليكم أن يُرَدَّ عليكم التابوتَ الذي أُخِذَ منكُم ، وقد كانت آيةٌ عظيمةٌ ومعجزة جليلةَ ، أن تأتي الملائكةُ تحمل التابوتَ بين السماءِ والأرضِ لتضعهُ بين يدَىْ « طالوت » إنَّها البركةُ والعظمةَ والإيمانُ التي تجلَّتْ على « طالوت » حتى يرضي الله عنهُ ويجعلَ له ولبني إسرائيلَ هذه الآيةُ العظمةُ .

فرضَى بنوا إسرائيلَ بملك طالوتَ ، بعدما رأوْا هذه الآيةَ العظيمةَ والمعجزةَ الإلهيةَ الخارقةَ لعادة البشرِ ، وأخذَ « طالوتُ » التابوتَ يحملُه بين يديْه ووضعهُ في بيتهِ .

قال الله تعالى عن ذلك :

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٤٨) ﴾ .

ولما استقر الملكُ لطالوتَ في بني إسرائيلَ شرَعَ في إعدادِهم للحرب ، وللمعركةِ الفاصلة بينهُمْ وبين عدوِّهم حتى يستردُوا أرضَهُم ومُلكَهم ، وأرادَ أنْ يضعَهُم عندَ أوَّلِ اختبارٍ وامتحانٍ ، ليختبرَ صبرَهُمْ ، وصِدقَ عزيمتِهم ، وقوةِ إيمانهم .

فعبَرَ بهم النهرَ بين الأُرْدُن وفلسطينَ ، وقال لهُمْ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ .

يعني : أنَّ الله جعلَ هذا اختباراً لكُمْ ، فهو محرمٌ عليكُم أَنْ تشربُوا من النَّهرِ إلاَّ من اغْتَرفَ غرفةً بيدِه ليروِي ظمأهُ فقطْ ، وكانَ هذا أوّلَ امتحانٍ ، فشربُوا منه إلاَّ قليلاً منهمْ .

قال بعضُ السلَفِ : « كانوا ثمانين ألفاً فشرِبَ من النَّهر ستةٌ وسبعُون ألفاً ولم يبق مع - طالوتَ - إلا أربعةُ آلافِ فقطْ ، وهمُ الذينَ سمعُوا أَمرَهُ ونفَّذُوه ، إنَّها رحلةٌ طوِيلةٌ ، وحربٌ ضَرُوس ، لا يثْبُتُ فيها إلاَّ المؤمنُونَ الصابرُونَ المجاهدُون !! .

فتركَ طالوتُ هؤلاءِ الذينَ شَرَبُوا من النَّهرِ ، وأخذَ مَعَهُ لقتالِ العَدوِّ الأربعة آلافِ الذينَ صبَروا في ذلك الإبتلاء ، وحين عبَرَ بِهمُ النَّهرَ وأصبحُوا على مقربةٍ من عدوِّهم دبَّ الرعبُ والخوفُ من قلوبِ الكثيرينَ منهُمْ ، وكان هذا هو الاختبارُ الثانِي لقاءُ العدُوِّ الذي طالمَا تمنّوْه ، بل وهمُ

الذينَ طَلَبُوا من نبيِّهم أنْ يبعثَ لهم مَلكاً يقاتلُون مَعهُ العدُوَّ ، لكنَّ كثيراً من الأقوال تذهبُ في مَهَبِّ الرِّيحِ عندَ أوَّلِ لقاءٍ حقيقيٍّ مع العَدَوِّ .



اللقاء المرتقب

بين طالوت وجالوت

رأى بنُوا إسرائيل جيشَ « جالُوتَ » الكَافَر فهالَهُم ما رأوْا مِنْ كثرةِ جنُوده وعُدَّتهم وعتادهم فَفزعُوا وقالوا « لطالوت » : ﴿ **لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ** ﴾ ، وذلكَ لخوفِهِم مِنَ المواجَهة مَعَ الجيشِ الكافرِ بقوَّته الظاهرةِ التي يرونَهَا ، ولكنَّهُم نَسُوا شيئاً هاماً ألاَ وهُوَ القوةَ المعنوية ، نَسْوا قوةَ الإيمانِ والعقيدةِ التي تحركُ القلبَ والعقلَ فتدفع صاحبها إلى البُطولة والفداء ، وقد بقى منهم قلةٌ مؤمنةٌ ردَّتهم إلى هذاَ المعنى فقَالتْ: ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ .

فالنصرُ ليس بكثرةِ العَدَدِ والعُدَّة والسَّلاحِ وإنَّما بالإيمانِ الصادقِ واليقينِ والصبرِ ، والمؤمنُ يقاتلُ مِنْ أجلِ

إعلاء كلمة الله في الأرض ، ونشر الإيمان والخير ، وردّ كيد المعتدين والظالمين والمفسدين لذلك فإنّه يكون أكثر ثباتاً وعزيمةً وإصراراً على النصر والفوز ، ولا يخاف الموت لأنّ الموت عنده - في سبيل الله - شهادةٌ يستحقُّ بها أعلى المراتب في جنّاتٍ عرضها السّماوات والأرض ، بينما الكافر يقاتل في سبيلِ غايةٍ أرضيةٍ ماديةٍ ويتمنّى الحياة ويخاف من الموت ، فيكون ذلك أدعى لعدم صبره، وقلة ثباته ، وضعف عزيمته ولولا هذه الفئة المؤمنة من بني إسرائيل ، لَهَلَكَ بنوا إسرائيل جميعاً ، لكنّ ثبات المؤمنين وبطولتهم كانت هي العاصمة من الهزيمة بإذن الله تعالى.

داودُ يقتلُ جالوتَ :

والْتقى الجيشان ، ودارتْ رحى الحرب ، وقاتل المؤمنون من بني إسرائيل - تحت قيادة « طالوت » - بشجاعة نادرة وعزيمة صادقة ، وإقدام ليس له مثيلٌ وهم يقولون : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا

وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ، فكان النصرُ حليفَهُم على قوى الكفر ، برغم كثرة عددها وعتادها ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ .

وكانَ داودُ عليه السلام حين ذاكَ شاباً حديثَ السنِّ ، لكنّه كان مؤمناً صادقاً فَطناً شُجاعاً مقداماً ، تقدم الصفوفَ واستطَاع أنْ ينفذَ مِنْ بينِ جنودِ العَدُوِّ ليصل إلى قائدهم « جالوت » فيسددَ له ضَربَةً قاضيةً تكونُ فيها نهايته ، ومعها نهايةُ البغي على بني إسرائيل في ذلك الزمنِ ، حيث أنعمَ الله على داودَ بالمُلْكِ والنُّبوّةِ فأصبحَ ملكاً نبياً خليفةً لنبيهم « شمعون » ، وملكهم « طالوت » ثم من بعده ابنه سليمان - عليهما السلام - مَلَكاً نبياً أيضاً على الأرض كلها .

﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ .

العبر والعظات :

[١] في البعدِ عن منهجِ الله تعالى ، ونسانِ أوامرِه وعدم تَطبيق منهجه ، ضياعٌ للملكَ ، وذَلَّةٌ من الدنيا والآخرة .

[٢] نقضُ العهود وتبديلُ المواثيق من صفات بني إسرائيل ، وبعد أَنْ طلبوا من نبيِّهم أن يبعثَ لهم ملكاً يقاتلون في سبيل الله ، وعاهدوه على عدم الفرارِ وعلى الثباتِ حتى النهاية ، فَرَّ أكثرُهم منذ البدايةِ عند النَّهرِ وعصَوْا أوامَر مَلْكِهِم فشربُوا منْهُ إلاَّ قليلاً منْهُم .

[٣] اختيارُ الله سبحانه وتعالى لأوليائه وأنبيائه وملوك الإيمان والهدى لا يكون أساسُهُ المالَ والغنى أَو الجاه والعشيرةُ ، وإنما أساسهُ التقوى والصلاحُ والعلمُ والقوةُ ، وحينَ اعترضَ بنو إسرائيل على « طالوت »

لأنه فقيرٌ ردّهم ملكُم إلى أُسسِ اختياره فقال: ﴿ إنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ .

[٤] لابد للقائد من أنْ يختبرَ جنودهُ قبل المعركةِ ليقفَ على مدى صبرهم وقوّتِهم واستعدادِهم ، وهذا ما يفعلُه القادةُ العسكريونَ اليوم في العالمِ كلِّه .

[٥] دائماً ما يكونُ المؤمنونَ قلةً مقابلَ الكافرينَ الكثْرة، ولكنَّ النصرَ دائماً يكونُ حليفَ المؤمنينَ إذا تحققتْ فيهِم شروطهُ، من الإيمانِ الصادقِ، والوحدة والاعتصامِ بدينِ الله، وإعدادِ العُدةِ وما يستطيعونَ من قوةٍ.

[٦] الدفاعُ عن الدِّين ومقدَّساتِه وعن الأرضِ والعِرضِ واجبٌ تفرضُه الأديانُ كُلُّها ، وهي في الأصلِ دين واحد هو الإسلام ، ولولا دفاعُ المؤمنينَ عن الحقِّ ووقوفهم وجهاً لوجهٍ مع الباطلِ لفسدتِ الأرضَ .



الأسئلة :

[١] من الذي سلبَ التوارةَ من بني إسرائيل ؟! وكيف عادَ التابوتُ إليهم ؟!! .

[٢] لماذا اعترضَ بنُوا إسرائيل على مُلْكِ « طالوت » ؟ ، وبمَ ردَّ عليهم نبيُّهم ؟ .

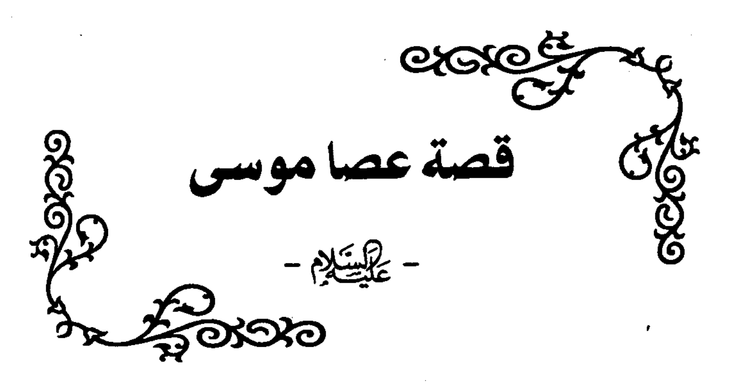
[٣] كيف اختبرَ طالوتُ جنودهُ ؟ .

[٤] ماذا كان قولُ المؤمنين من بني إسرائيل عند لقاءِ العَدُوِّ؟!.

[٥] من قتل « جالوتَ » ؟! وماذا كانَ له بعدَ ذلك ؟!.

[٦] اذكرْ أسبابَ النصرِ كما فهمْتَه من القصةِ .





قال الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا
نَحْنُ الْغَالِبِينَ (41) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (42) قَالَ
لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (43) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ
وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (44) فَأَلْقَىٰ
مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (45) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ
سَاجِدِينَ (46) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَىٰ
وَهَارُونَ (48) ﴾ [الشعراء : ٤١ – ٤٨] .



حوار موسى عليه السلام
مع سحرة فرعون

تبدأُ قصةُ العصا عندما سار موسى عليه السلام بأهلِه ليلاً قاصداً مصر،وذلك بعدما أتم خدمة الشيخ الصالح وتزوج إحدى ابنتيه ، وكان موسى عليه السلام يسير مع أهلـه في ليلةٍ باردةٍ مُظلمة ، لا يرى الناظرُ فيها شيئاً ، فبينما هما كذلك رأى موسى عليه السلام من بُعدٍ ناراً تأجج من جانبِ الطور ، فقال لأهله : ﴿ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [القصص : ٢٩] ، والظاهرُ أنَّ موسى وأهله كانوا قد ضلّوا الطريق في الظلام ، وحين رأى موسى عليه السلام هذه النار قالَ لأهله : انتظروا لأرى هذه النار ، فَرُبَّما وجدت عندها أحداً أسأله عن الطريقِ فيدلنا على الخيرِ ، أو آتى منها

بشيء نستنير به ونأخذ منه الدفء في هذه الليلة الباردة .

وتلك النَّارُ التي رآها موسى لم تكنْ في الحقيقة ناراً وإنَّما نورٌ من الله ، ولقد رآها موسى بمفردِه ولم تراها زوجته لأن هذا النور لا يراه إلا الأنبياء فقط ، وحين قدم موسى واقترب من هذا النور سمع صوتاً يناديه : ﴿ **يَا مُوسَىٰ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي (١٤)** ﴾

[طه : ١١ - ١٤] .

لقدْ كانَ هذا الصوتُ هو صوتُ الخالق تبارك وتعالى، يُخبرُ موسى بأنَّهُ اصطفاهُ للنبوَّةِ واختارهُ ليدعو فرعونَ إلى الإيمان بالله تعالى ، وليكونَ رسولاً لبني إسرائيل ، ثم سألَهُ اللهُ تعالى : ﴿ **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ**

غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ (١٩)
فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ
سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ (٢١) ﴾ [طه : ١٧- ٢١] ،
وحينما ألقى موسى عصاه صارتْ حيَّةً عظيمةً ضخمة ، وحركتها سريعة جداً كأنَّها جانٌّ ، فخاف موسى عليه السلام وولَّى هارباً منها ، فقالَ الله له : ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾ ، يعني سوف تعود كما كانت عصا ، وهذه آية ومعجزة سوف تكونُ معك يا موسى ، ليس هذه المعجزة فحسب ، بل أمرهُ اللهُ تعالى أنْ يُدخلَ يدهُ في جيبِهِ ثم يخرجها فإذا هي بيضاء متلألأه مثل وجْهِ القَمَرِ ، حتى إذا أدخلَها موسى في جيبِه مرةً ثانيةً وأخرجها عادتْ كما كَانَتْ ، وقَدَ كَانَتْ هاتان آيتان من الله تعالى إلى فرعونَ وملأه ، قال تعالى: ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن

رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

[القصص : ٣٢].

فاللهُ سبحانه وتعالى يعلمُ أنَّ فرعونَ سيطلب من موسى آية عينية ، ولن يقتنعَ بكلامِ موسى وبآياتِهِ وحُجَّتِهِ العقليَّة ، ومنذ تلك اللحظة بدأتْ رسالةُ موسى عليه السلام .

أرسلَ اللهُ عزَّ وجلَّ موسى عليه السلام إلى فرعون مصر ، ليدعوه إلى اللهِ تعالى ، وإلى عبادته وألا يتكبَّر في الأرض على النَّاسِ ، وألا يُعذب بني إسرائيل ، ويكفَّ يَدَهُ عن تقتيل أبناءهم واستعبادهم ، فلقد كان فرعون عالياً في الأرضِ من المسرفين ، كان متألهاً يقول للنَّاسِ : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٤] ، إنَّ تكبُّرهُ وعجرفته صوَّرَا له أنه إله لابد أنْ يعبده الناس ، ويُسبحون بحمده وله يسجدون .

ولقد ذاق بنو إسرائيل من فرعون العذاب الأليم وكانوا

عنده من الصاغرين ، فبعثَ اللهُ إليه موسى وأخاهُ هارون وأمرهما أن يقولا له قولاً ليناً لعلَّه يتذكر أو يخشى ، ودَارَ الحوارُ بين موسى وفرعون ، قَالَ فرعون : ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾

[طه : ٤٩ - ٥٢] .

واستمرَّ الحوارُ ، فرعون يسألُ متعجرفاً متكبراً ، وموسى عليه السلام يجيبُ في ثقةٍ عالية بربِّه وبما معه من الحقِّ والإيمان ، لكنَّ نداءَ العقل والمنطقِ لم يعجب فرعون ، إنه يريدُ شيئاً عينياً يراه أمامه دليلاً وبرهاناً ، وحين عَلَمَ موسى هذا من فرعون قال : ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ

لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الشعراء : ٣٠ -٣٣] ، لقد جاء موسى بمعجزةٍ عظيمةٍ ، وهي العصا التى تحولتْ بقدرةِ الخالقِ سبحانه وتعالى إلى ثعبانٍ مُبين ، ويده التي أصبحت بيضاءَ متلألأةً بقدرةِ اللهِ تعالى .

فهل آمنَ فرعون بربِّ العالمين وصدّق بالمعجزةِ العينية الواضحةِ أمامه ؟! كلا إنه ردّ على موسى بكلِّ سخريةٍ واستهزاء ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الشعراء :٣٤ -٣٥]، إنه وصفَ هذه المعجزة الربانية بالسحرِ ، والسحرُ خداعٌ للبصر وليس حقيقةً ، ولا يُفلحُ الساحرُ حيثُ أتي ، ولقدْ كانَتْ العصا بقدرةِ اللهِ ثعباناً عظيماً ، فلم يكنْ موسى ساحراً خادعاً لرؤيةِ فرعونَ ولبصرِهِ ، وهذا ما سنعرِفه فيما بعد .... .

قد يقول قائل :إنَّ فرعون لم يعرفْ هل هذا سحر أم حقيقة.

ونقول : لا ، إن فرعون كان يعلمُ صدقَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من قوةِ حُجَّتِه وصِدْقِ كَلامِه ، ولأنه يعرف أنه هو نفسه ليس إلهاً ولا شيء ، وإنما مَنَعَ فرعون من تصديقِ موسى كِبْرُه ومنزلتُه العظيمة التي صنَعَهَا لنفسِه في قومِه واستخفافِه لهم ، فأرادَ فرعون أن يُبين للنَّاسِ أنَّ هذه الأشياءَ التي جاء بها موسى «سحر» كأي «سحر» يُمكنُ أن يأتي به السحرة ، مع أن موسى لم يتعلم يوماً فنونَ السِّحْرِ ، وكَانَ ردّ الملأ حوله : ﴿ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧) ﴾ [الشعراء : ٣٦ - ٣٧] .

وفرِحَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا الخبر ، لأنّه يعلم أنه على الحقِّ ، وأنَّه سوفَ ينتصرُ بإذن الله على سحرةِ فرعونَ وسيؤمن النَّاسُ إن شاء الله ، فبعث فرعونُ جنودَه ينادون في النَّاسِ إنَّ فرعونَ يدعوكم جميعاً إلى يومِ كذا ، وكان

يوم عيدٍ من أعيادهم ، وأن يجتمعوا جميعًا في وقت الضُّحَى ، يعني في أوَّلِ النهارِ ، حتى يشهدوا الموقف الرهيب بين موسى والسحرة ليتبعوا السحرة إن كانوا هم الغالبين ، كان هذا كلام فِرعون للنَّاسِ وكلام جنوده .

لكن موسى عليه السلام ماذا قال ؟! إن فرعونَ لا يتحداه هو ، بل يتحدي الحقَّ الذي معه ، إنه يتحدي الله تعالى ، هل يترك موسى السحرةَ بعد أن اجتمعوا في هذا الموقفِ العظيمِ يسحرون أعينَ النَّاسِ ويخدعونهم ؟! ليضلوهم عن طريق الحقِّ وعن الهُدىَ ؟! ماذا فعل ؟ وماذا قال لهم ؟! سوف نرى . . ..

وحينما اجتمع السحرة جميعاً فى هذا المكان ، وكانوا عظماء في السحر ، قالوا لفرعون : ﴿ **إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤)** ﴾ [الأعراف : ١١٣-١١٤] ، إنَّهم

يريدونَ أن يطمئنوا أولاً على أجرِهم ومكافآتِهم إذا انتصرو على موسى وهزموه بسحرِهم ، لكن موسى عليه السلام الواثقُ بربه المعتزُّ بدينِه لم يردْ أن يضلَّ هؤلاء الناس وأن يشاركوا في جريمةٍ بشعةٍ ؛ وهي تضليل الناس وصدهم عن الحقِّ، في حين أنهم لن يستفيدوا سوى متاع من الدنيا قليل ، لا يقارن بما سوف يستحقونه من عذابِ الله لذلك

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ (٦١) ﴾[طه:٦١] ،

لكنَّهم لم يستمعوا إلى نصيحةِ موسى عليه السلام ، إنهم في كلِّ هذا ينظرونَ إلى مكافأة فرعون لهم ، وإلى الأموالِ التي سوف ينالونها منْهُ ، فماذا قالوا ؟ ، إنهم قَالُوا :

﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴾[طه:٦٣-٦٤] .

يعني : أن موسى وأخاهُ هارون ساحران ؛ جاءا بسِحرٍ عظيم ليجتمعَ النَّاسُ عليهما ويثوروا على فرعون ، وقالوا هذا حتى لا يختلفوا وليقفوا صفاً واحداً أمام موسى عليه السلام وليتفننوا في السحر ليبهروا النَّاسَ ويفتنوهم – مع أن بعض السحرة أحسّ من كلام موسى أنه نبي وليس بساحر – إلا أنهم اتفقوا جميعاً أن يواجهوه بالسحر ، ولما وقف السحرة صفاً واحداً مستعدين أمَامَ موسى وهارون ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ** (٦٥) ﴾[طه:٦٥] .

يعني قالوا لموسى : إمّا أن تبدأ أنت بإلقاءِ ما عندك ، وإما أن نبدأ نحن .

فَقالَ لهم مُوسى : بل ألقوا أنتم ما عندكم ، ﴿ **فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ** ﴾ [طه : ٦٦] ، وكَانَ السَحَرَةُ قد أَحْضَروا معهم بعضَ العصى والحبال فألقوها على الأرضِ وسَحَروا

أعينَ النَّاسِ ، فظنَّ النَّاسُ أنَّ هذِه الحبالُ والعصى تمشى كالحياتِ والثعابين ، فخافُ موسى على النَّاسِ أن يُفتنوا بفعلِ السحرة ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) ﴾ [طه : ٦٧ - ٦٩] .

وعِنْدَما ألقى موسى عصاهُ صارتْ - بإذنِ الله - حيةً عظيمة ذات شكلٍ هائلٍ مُفْزِعٍ ، فدخل الرعب في قلوبِ النَّاسِ جميعاً وكادوا أن يهربوا ويتركوا المكانَ ، لولا أن الحيَّةَ وفي سُرْعَةٍ مذهلة اتجهت نحو الحبال والعصى التي ألقاها السحرةُ فأخذْ تلقفُها واحدةً تلو الأخرى، والجميع ينظرون إليها في دهشةٍ وعجب!! .

وحين رأى السحرةُ هذا المنظر العجيب ، وتلك الحية الرهيبة تلقف ما صنعوا من السِحرِ ، عرفوا أنَّ هذا حقٌّ لا

ريبَ فيه ، وليس سحراً ولا شعوذةً ، فما كان منهم إلا أن خرّوا لله ساجدين و﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ [طه : ٧٠].

لقد ظَهَرَ الحقُ وبَطَلَ ما كانوا يعملون ، وأصبح فرعونَ وجنوده في خزي وذلة ، ﴿ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) ﴾ [الأعراف : ١١٩]، واشتاطَ غضب فرعون ، فبدلاً من أن ينهزمَ موسى وينتصرَ السحرةُ، آمن السحرةُ بموسى وبربِّ العالمين واعترفوا بنبوّةِ موسى وأخيه هارون ، قال فرعونَ في غضبٍ شديدٍ وغيظٍ أكيد: ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) ﴾ [طه : ٧١] .

وحتى يخرجَ فرعونُ من هذا المأزقِ الخطيرِ افترى على السحرةِ أنَّ موسى هو الذي علَّمهم السِّحرَ وأنهم اتبعوه

ودبّروا هذا الأمر معه وتلك الحيلة ليفتنوا أهلَ المدينة ، ووعدَ السحرةَ بالعذابِ الشديدِ إنْ لم يرجعوا عن اتّباعِ موسى وعن عبادةِ ربِّ العالمين ، لكن السحرةَ الذين علموا الحق ورأوا الآيات العظيمة وعلموا يقيناً أن موسى نبيٌّ مرسلٌ من قِبَلِ الله تعالى وليس ساحر أو دجال ، هؤلاء السحرة الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم ؛ وأنارتْ عقولهم ؛ ما كانوا ليرجعوا أبداً عن الإيمان بالله تعالى حتى لو تم تقطيعهم إرباً إرباً ، فإنَّ نعيمَ الآخرةِ وثوابها خير وأبقى ، وإنهم سوف يموتون شهداء فيكونون في أعلى الجنان يوم القيامةِ ، في عيشٍ رغيدٍ على سُرُرٍ مرفوعةٍ متكئين عليها متقابلين ، يأكلون من ثمارِ الجنَّة ويشربون من أنهارها ويتمتعون بكل ما فيها ، فماذا كَانَ ردّهم على فرعون حين وعدهم بالعذاب الأليم ؟ بأن يُقطِّعَ أيَدَيَهُم وأرجلَهُمْ من خِلاف ويصلبهم في جذوعِ

النَّخلِ ؟! ، مَاذا قَالوا لهُ ؟! .

﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (٧٣) إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ (٧٦) ﴾ [طه : ٧٢ - ٧٦] .

وظهرَ للنَّاسِ جليَّاً واضحاً كذب فرعون وافتراءه ، فكيف يكون موسى عليه السلام كبير السَّحرة الذي علَّمَهُم السحر ، وهو أصلاً لا يعلم من أمرهم شيئاً لأنَّ الذي جمع السَّحَرَةَ هو فِرعون نفسه وجَمعهم مِنْ أماكنَ متفرقةٍ لا يعلمها موسى عليه السلام ، وكيف يرضى السحرةُ

بالعذاب في الدنيا وأن تُقطَّعَ أيديَهم وأرجلهم من خلافٍ ويصبروا على ذلك مِنْ أجْلِ موسى ؟! .

إنَّ الإنسانَ لا يمكنُ أن يدفعَ حياتَهُ ثمناً إرضاءً لبشرٍ مهما يكن ، لأن الحياةَ هي أغلى ما يملكه الإنسان ، ولكن يدفع الإنسانُ حياته دفاعاً عن دينِه وعن عقيدته وهو راضٍ مطمئن لأنَّه يعلمُ أن لهُ الثواب العظيم يوم القيامة ، وأنه من الشهداء .

لقد ضَرَبَ السَّحرةُ أروعَ المثل في الإيمان الصادق ، والصبرِ والرضا بقضاءِ اللهِ ، والثبات على العقيدةِ ، فهم أوَّلُ النهارِ جاءوا يطلبون من فرعون المالَ والقربةَ إن كانوا هم الغالبين ، يُريدون متاعاً من الدنيا قليلٌ ، وفي آخرِ النَّهارِ وجدناهم مؤمنين صادقين يطلبون الجنَّةَ ، ويُضحون بحياتِهم في سبيلِ دينهم .



العبر والعظات :

[١] السحر من الأعمال العظيمة الشر،وهو خداع للناس ولأبصارهم وليس بحقيقة ، وهو عمل مضل مبين، والإسلام قد حرم السحر وجعله من الكبائر ومن السبع الموبقات التي يستحق بها الإنسان العذاب الأليم ، قال رسول الله ﷺ : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » ، قالوا يا رسول الله: وما هي؟! ، **قال** : «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»(١) ،كما حرم على المسلم أن يأت ساحراً، أو كاهناً ، فقال عليه الصلاة والسلام : «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه بما قال لم تقبل له صلاة أربعين يوماً** »(٢) .

---

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) رواه مسلم .

[٢] التنكيلُ بالمؤمنين وملاحقتِهم ، ومحاولة ثنيهم عن الحقِّ بشتى الطُرُقِ ومختلف الوسائِل ، هذا هو سمةُ الظالمين في كلِّ عَصْرٍ من العصور ، وذلك لأنهم لا يستطيعون أن يجادلوا أهل الإيمان وأهل الحقِّ لوضوح حجَّتهم وقوة منطقهم ، فيلجأون لقهرِهِم والضغط عليهم ليردّوهم عن دينهم ، وكان هذا هو أسلوب فرعون مع السَحرةِ بعد إيمانهم بربِ العالمين.

[٣] الثبات على الحقّ ، وفداءُ الدِّينِ والعقيدة بالنَّفْسِ والروح ، واحتساب الأجرِ عِنْدَ الله تعالى كَانَ كل هذا هو موقفُ السَّحَرَةِ بعد تيقنهم من صِدقِ موسى عليه السلام ، وإيمانهم بربِّ العالمين ، وهذا هو شيمةُ المؤمنين في كُلِّ عصرٍ من العصور ، قَالَ الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ** ﴾ [التوبة : ١١١] .

أسئلة :

[١] لماذا أرسل الله موسى إلى فرعون وملاءه ؟ .

[٢] لِمَ كذَّبَ فرعون موسى وأخاه هارون عليهما السلام ؟ ، وبماذا افترى عليهما ؟! .

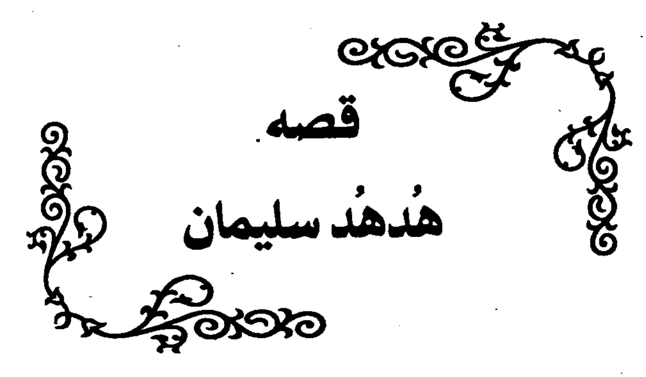
[٣] ماذا طلب السحرة من فرعون قبل لقاء موسى عليه السلام ؟ .

[٤] بِمَ نصح موسى السحرة قبل أن يقدموا على سحرهم ؟! ، وهل قبلوا النصح عندها ؟! .

[٥] لماذا آمن السحرة برب العالمين رب موسى وهارون؟!.

[٦] بِمَ هددهم فرعون وتوعدهم إن لم يرجعوا عن إيمانهم؟.

[٧] هل خاف السحرة من فرعون وجبروته ورجعوا عن دينهم ؟! ولِمَ ؟ .



قصة
هُدهُد سليمان

قال الله تعالى :

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ
الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي
بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ
تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً
تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣)
وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤)
أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ
وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) ﴾ [النمل : ٢٠ - ٢٦] .

مُلك سليمان عليه السلام

كانَ سُليمانُ عليه السلام نبياً من أنبياءِ الله المُرسَلين إلى بَني إسرائيل ، وقد آتاهُ الله مُلكاً عظيماً ، لمْ يُؤتَ مثله أحدٌ من العَالمين ، وكان ذلك استجابةً من الله تعالى لدُعاء نبيِّه سُليمان عليه السلام حين دعَا ربَّه فقال : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾ [ص : ٣٥] .

فَسخَّر الله تعالى لِسُليمانَ عليه السلام الرِياحَ تأخُذه وَمن معه حيثُ يَشَاء ،تَطير به في الهواءِ بِسرعة مُذهلة، فيجوب المشارق والمغاربَ حيثُ شاء ،كما سَخَّر له الشَّياطين يَبنون له ما يَشاء ، وكذلك عَلَّمه لُغة الطيرِ وكيفَ يَتخاطَبون ... سُبحان الله الوهّاب !! .

قال الله تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً

حَـيْثُ أَصَـابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّـيَـاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَـوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَـرِينَ مُـقَـرَّنِينَ فِي الأَصْـفَـادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَـامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص : ٣٦ - ٣٩] .

ولم يُوهبْ سُليمان عليه السلام القُوَّة الماديَّة فَحسب ، بل وَهبه الله تعالى قوة العقلِ ورجَاجة الفكر ونُورَ البصيرةِ ، « فَقد جَاءت امرأتان تَختصمان في ولدٍ رضيعٍ ،كُلُّ واحدةٍ منهن تَدعَّي أنه ولدها ، ذلك لأن الذئب عـدا على وَلَد إحْداهُنَّ فأَكَله ، فتنازعا في الولد الآخر ، واستطـاع سُلَيمان عليه السلام بذكـاءه الفذّ وحكمته البَالغة ؛ أن يتعرف عَلى أُم الطفل الحقيـقيـة ، وذلك حِينَ لجَأ إلى حيلةٍ فقـال: ائتُوني بسكّين أَشّق الطفل نِصفَين لكلِّ واحـدةٍ منكما نصفَه ، فصرخـت إحدَاهُـن: لاَ... لا تَشقَّه يا نبيَّ الله ، هَو لهـا أنا لا أُريده!!... فعرف سُليمـان عليه السلام أنَّه ابنُها لخِوفهـا الشَّديد عليه ، فَحكم لَهَا بِهِ ، ولمْ تتكلَّم

المرأةُ الأُخرى عندئذ (١) .

ونَحنُ في هَذه القصةِ مع مشْهدٍ عجيبٍ من المشاهدِ التي حكَاها القُرآنُ الكريمُ ، البطلُ في هذا المشهد ليس بَشرًا ولكنَّه طَائر يُسّمى « الهُدهُدُ » هذا الطائرُ الذي نَراه فَيُعجبنا مَنظره ، ونَعرف عنه أنه ذُو بصرٍ نَافذ ، يَرى – بقُدرة الله تعالى – الماءَ تحت تُخوم الأَرضِ ، هذا الطائرُ ذو الريش الجذابِ المُلوّن الذي يستهوي الكبيرَ والصغيرَ ، كُلّنا نَعرفه ولكنَّ الشيءُ الذي لا نعرفهُ هُو أن « هُدهداً » كان على عهد نبي الله سُليمان عليه السلام كَان هذا الهُدهُد » سَبباً في هِدايةَ بلدة بأكلمها ، وإِخراجِ أهلِ هَذا البلدِ مِنْ ظلامِ الشِّركِ ، إلى نُورِ الإيمانَ بالله الواحد الأحد ، الفرد الصمدِ الذي لمْ يلدْ ولم يُولدْ ، ولم يكنْ له كُفُواً أحد .

---

(١) قصة اختصام المرأتين فى الطفل ، فى البخارى ومسلم .

رحلة الهدهد إلى سبأ :

خَرجَ الهدهدُ ذات يومٍ يُحلِّق في سماءِ الله ، طالباً الرزقَ ، مُسبِّحاً لله تعالى ، شاكراً له بديعَ صنعه ، وجميل خلقه ، ورحمته الواسعة ، والهُدهد كان يفعلُ ذَلك دَائماً ثُمَّ يَعود إلى مملكة سُليمان عليه السلام ، لكنَّه في هَذه المرةِ لم يعُد إلاَّ بَعد فَترة أَقلقت سُليمان عليه السلام ، فأَين ذَهبَ الهُدهد؟! ، جَمع سُليمانُ جنُوده جَميعاً وأَخذ يَتفقَّدهُم فلم يَر الهُدهُد ، ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) ﴾ .

[النمل : ٢٠ ، ٢١] .

إنَّ الهُدهد تأخَّر على سُليمان عليه السلام ، فما الذي أخرَه؟!، لقدَ تَوعَّده سُليمان بالعذاب الشديد أو الذَّبحِ إنْ لم يأتِ بِعذرٍ مبينٍ [واضح] غير مُفتَعل [مُصطنع] ،

وبَعد وقت ليس ببعيد جَاء الهُدهد مَزهواً [مفتخراً] ليقولَ لسليمانُ عليه السلام : ﴿ **فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤)** ﴾ .

[النمل : ٢٢ – ٢٤] .

لقد اكتشفَ الهُدهدُ شيئاً عظيماً لم يكنْ يعلَمه سُليمانُ عليه السلام ، ألا وهو أنَّ هناكَ قوم في بَلدة سَبأَ (١) لا يعبدون الله تعالى وليس هذا فحسب وإنما يَسجدُون للشمّس مِن دون الله ، يا للعجب !! .

تعجَّب الهدهدُ واشتدَّت حيْرته ، وقالَ :كَيف يعبدُ هؤلاء الناس الشمسَ ويسجدونَ لها ، ويَتركون عِبادة الله

(١) سبأ : اسم مملكة كانت في اليمن قديماً .

الخالق الرزاق؟! ، الذي يُخرج المَاء مِنْ السماوات والأرضِ ، ولولا هذا الماءِ لماتَ الناسُ جميعاً وماتَ الخلقُ كُلَهم ، الله الذي يعلمُ السِّرَ وأخفى ، كيف يعبُدونَ غيره وقد أكلوا مِنْ رِزقِه وخيرِه ؟!! .

وإزَاء ما جاء بِهِ الهُدهُدُ من الأخبارِ يتَحركُ سُليمانُ عليه السلام بسرعة لِيُصلح هذا الوضع المقلوب ، ولِيدعو هؤلاء النَّاس إلى الإسلامِ وإلى التوحيدِ ، فَيبعثُ مع الهدهدِ رِسالةً مُختصرةً مُفيدة ، تَجمعُ بين قوةِ البيان ، وبلاغة اللسان ، وقال للهدهد: ﴿ **اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾** ﴾ [النمل: ٢٨]، فذهب الهدهد ومِنْ شرفاتِ القصر ألقىَ الرسالةَ على مَلَكتهم « بِلقيس بنت شُراحيل » ثم ذهب .

فَدُهشتْ الملكة « بِلقيس » مِنْ هذا الذي حَدث ، هُدهدٌ يُلقي إليها بِرسالةِ !! مِمَّن هذه الرسالةِ ؟ ومَن

أعطاها للهدهد ؟ ولماذا أَلقاها الهُدهُد عَليَّ ؟!! .

تساؤلاتٌ ، وتَساؤلاتُ تَـدور في ذِهـن « بلقيس » ، وبسرعـة تَفْتحُ الرسالة لتَقـرأهـا ، ثم تجمعُ الجنـود ، لتستشيرهَـم في هَذَا الأمـر العَجيـب ، قالـتْ لهم : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) ﴾ [النمل: ٢٩-٣١] .

إنها دعوةٌ من نبيِّ الله سُليمان عليه السلام لهؤلاء الناس بأنْ يُسلموا لله ربِّ العالمين ويذهبوا إلى سُليمان ليُعاهدوه على الإسلام ، ويَدْخلوا في رِحَابِ دولة الإيمان ، احتارت « بلقيس» ماذا تفعل ؟!! هَل تتركُ دينها ومَاهُمْ عليه وتستجيبُ لِسُليمان أم تَستعِدَّ لِدخُول حَربٍ ضَرُوسٍ[1] ، قـد تكُون فيها مِنْ الخَاسرين ؟ فاستشارت الجنودَ قائلة :

---

(١) ضروس : طاحنة .

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) ﴾ [النمل : ٣٢ – ٣٥] .

كانت بِلقيس ذاتَ عَقْلٍ راجح ، وعَلمت أنَّ الحربَ مع سُليمان ليستَ في صالحِ بَلَدها ، فرأت أنْ تُرسلَ هَدِيَّة إلى سُليمان فإن قَبلها فَهو ليس بصادقٍ في دعوته ؛ وإن ردَّها فهو حقّاً نبيٌّ صادق لا يُريد مالاً ... وحينما جاءَ جُنود بلقيس بالهديَّة إلى سُليمان عليه السلام غَضبَ غَضباً شديداً وقال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ﴾ [النمل : ٣٦] .

وعندما رأت « بلقيس » أنَّ سُليمان عليه السلام رَفض الهديَّة وتَوعَدهُم بالحرب ، علمت أنه ليس ثمة مَلك من المُلوك ، لأن المُلوك يُريدون متاع الحياة الدُّنيا من المال والغِنى والجَاه والسُلطان فحسب ، بَينما سُليمان عليه السلام يُريد شيئاً آخر ، ألاَ وهُو نَشرُ الإسلام في ربوعِ الأرض ، ودَعوةِ الناسِ إلى التوحيد وإقامة القسطِ والعَدلِ ، والقضاءِ على الظُّلمِ والفسادِ في الأرض .

إسلام ملكة سبأ :

كان لملكة سَبأ عَرشٌ عظيم مُرصَّع بالجَواهر واليَاقوت ، لا يُوجد لَه شبيهٌ ولا مثيل ، فقد وَرِثته عَنَ أبيها الذي كَان مَلكاً لسبأ مِنْ قبلِ ، وأرادَ سُليمان عليه السلام أنْ يُبيّن لبلقيس وقومِها ما وَهبه الله منْ العلمِ العظيم والفضلِ الكبير ، فقال لجنوده : ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[النمل: ٣٨]، واسْتَطاع رجلٌ عِنده عِلمٌ من

الكتاب أن يأتي بعرش ملكة سَبأ في غَمضة عينٍ، وكانت ملكةُ سبأ عندئذٍ في الطريق إلى سُليمان عليه السلام، فقال سُليمان لجنوده : ﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ (٤١) ﴾ [النمل: ٤١] .

يعني : « اجعلُوا بَعض التغيير في عرشها حتى نَرى هل سَتتعرَّف عليه أم لا ؟ » .

ووَصلتْ بلقيس إلى سُليمانَ عليه السلام وأول مَا رأَت سُليمانَ عليه السلام لفت آنتباهها ذَاك العرشِ الكائنِ عندَه ، وأَخذتْ تُفكّر وتقولُ في نفسِها : هذاَ العرشُ يُشبه عَرشِي تماماً لكن فِيه بعضُ التغيرات ، لكنَّه هُو هُو عَرشِي ، إنني أعرفه أشمُّ رائحتَه ، أشعرُ بأُلفةٍ بَيني وبينه ، ولكن كَيف جَاء إلى هُنا ؟ ومتى ؟! ، لقد تَركتُه في قَصري قبل أن أَرحلَ ، والحراسُ هناك عِند الباب ولا يَجرؤا أحدٌ على الدخول إليه .

وبينما تُحدث « بلقيس » نفسها إذا بسُليمان يُفاجأها بسؤالٍ توقعته ، قال لها : ﴿ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ﴾ [النمل: ٤٢] ؟!! ، فَسكتتْ قليلاً ، وفكَّرت : ماذا تقول ؟! ولو قالت : هُو عرشِي فكيف جاء إلى هنا ومَن جاء به ؟! ، وكيف وصل بهذه السرعة ؟! ، ولو قالت ليس هُو ، فقدْ أَخطأتْ لأنَّه هُو فعلاً ، فجاءتْ بحرفِ تشبيه فيه بلاغةٌ وفصاحة يُقربّ الحقيقة لكنْ لا يؤكدَّها فقالت : ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ [النمل: ٤٢] .

ولمْ يكنْ وجودُ عَرشها في مُلك سُليمانَ هو المفاجأةُ الوحيدة التي فُوجئت بها بلقيس ، وإنما هُناك مُفاجأةُ أخرى تنتظرها عِند دُخول القصرِ ، فقد أمر سُليمان جُنوده أن يَبنوا له قصراً من زُجَاج ، وأنْ يَجعلوا الماءَ يجري من تحته حتى تَرى بلقيس قَصراً أعظَم مِن قصرِها وتعلمَ أنَّ عِلم سُليمان ومُلكه عَظيماً ؛ لأنَّه مِن عَطاءِ الله

الذي ليس له حُدودٌ ، وعندما جاءت بلقيس لتدخل القصرَ رأتْ الماءَ يجري فَشمَّرت عن سَاقيها حتى لا تبتلَّ ملابسها بالماء ، فإذا بها تَسيرُ على شيءٍ يَابسٍ ولا تبتلَّ بالماء فَدُهشَتْ ، فقيل لها : ﴿ **إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ** ﴾ [النمل: ٤٤] ، فكان هذا زُجاجاً تَحته مَاء وقد بُني بطريقه هندسيَّةٍ رائعةٍ ، لم تكن تتوقعها بلقِيس إذْ كيف يُبنى قصرٌ من الزُجاج على الماءِ ؟!! ، فعلمت بلقيس أنَّ سُليمان عليه السلام ذُو علمٍ عظيم ، وحين دخلتْ القصَر وتحدَّثتْ مع سُليمان وبعد أنْ رأتْ تلك الأمور وأدركتْ أن سُليمان عليه السلام رسولٌ من رب العالمين أعطاه الله من الملك ما لم يُعط أحداً مِن خلقه ، وأمره بدعوةِ الناسِ إلى توحيد الخالقِ جَلَّ وعلا ﴿ **قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)** ﴾ [النمل: ٤٤] .

وعَلِمت أنَّ ما كانتْ فيه من عبادةِ الشمس من دون الله إنما كان مَحضُ ضَلالٍ وكفر مبين فأشرقتْ نُور الإسلام والإيمان على سَبَأ بعد أنْ كانوا يَسجُدون للشمسِ مِنَ دُونِ الله ، وتزوَّج سُليمان عليه السلام من «بلقِيس» وأقرَّها على مملكة اليمن ، وكان يزورها بين الحين والحين ، وفرِح الهُدهُد أنْ جعله الله سبباً في هدايةِ أهل سبأ إلى الإيمان بالله تعالى وتوحِيده ، وترك عبادة الشمس وارتفاعِ رَاية الإيمانِ ، وانِتكاسِ راية الشَّيطان .



العبر والعظات :

[١] يجبُ على المسلم أنْ يَغضبَ لله إذا وجَد أنَّ هناك من يعبدُ غيره ، أو يكفر خيره ، أو يُفسد في الأرض ، وأن يأمرَ بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويدعو إلى الله بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ كما فعل الهُدهدُ .

[٢] أنْ يَبدأ المسلمُ في أي رسالةٍ يَكتُبها بِسم الله الرحمن الرحيم كما فعل سليمان عليه السلام .

[٣] أنَّ الأَنبياء جميعاً دينهم واحدٌ وهو الإسلام ، والدليلُ على ذلك قول بلقيس ملكة سَبأ ﴿ **قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)** ﴾ [النمل : ٤٤] ، فالدين هُو الإسلام ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾

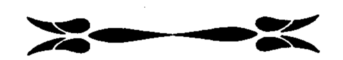
[آل عمران : ١٩] .

[٤] على المسلم أنْ يشكرَ الله تعالى على ما أَسداهُ مِن

النعم ، وأنْ يجعلَها في خدمةِ الدينِ، والحقِ والخيرِ.

[٥] الإسلامُ يحثُّ على احترامِ العلمِ والتزودِ منه ، قال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] ، ويُجلّ العُلماءَ ويرفعُ قدرَهم ومكانتهم ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] .

[٦] التريُّث وعدم التسرُّع في الأمور ، والتأكُّد مِن صدقِ الخبر قَبل الشروع في الردِّ عَليه .



الأسئلة :

[١] ماذا فَعلت ملكة سَبأ حين جَاءتها رسالةُ سُليمان عليه السلام .

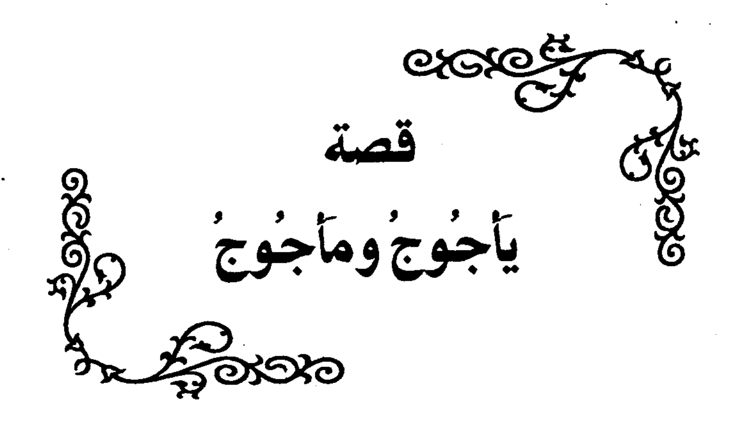
[٢] اذكرْ مِن القصَّة ما يدلُّ على تَريّثُ سُليمان عليه السلام في الأمر وعدم التسرُّع في الحكم .

[٣] مَنْ الذي استطاع أنْ يأتي بعرشِ ملكةِ سَبأ قبل أنْ تأتيَ إلى سُليمانَ عليه السلام .

[٤] لماذا أَمَر سُليمان بِصُنع قَصراً من قَوارير « زُجاج » وأَجْرىَ الماءَ من تحته ؟! .

[٥] لماذا أسلمتْ مَلكةُ سبأ مع سُليمان لله رب العالمين ؟! .





قصة
يأجوج ومأجوج

قال الله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ۝٩٧ ﴾ [الأنبياء : ٩٦ ، ٩٧] .



من هم يأجوجُ ومأجوجُ ؟

يأجوجُ ومأجُوجُ قومٌ من نسل آدمَ عليه السلام ، وبالتحديد من نسل يافث بن نوح عليه السلام ، لأنَّه وكما نعلم أنَّ الأرضَ غرقت بالطوفانِ على عهد نوح عليه السلام ، ولم ينج إلا من ركب في السفينةِ مع نوحٍ عليه السلام ممن آمنَ بالله تعالى ، وكان من حكمةِ الله تعالى أنْ يجعلَ نسل نوح عليه السلام وهو النسْلُ الباقي إلى يوم القيامة ، قال الله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧)** ﴾ [الصافات : ٧٧] ، فكان الخلق كلهم بعد نوح عليه السلام ينحصرون في ذريّة أولاده الثلاثة : سام ، حام ، يافث .

قال رسول الله ﷺ : « **سامْ أبو العَرَبِ ، حامْ أبو السُّودانِ ، يافث أبو التُّرك** » (١) .

---

(١) رواه أحمد .

ويأجوجُ ومأجوجُ كما ذكرنا من نسل يافث ، إذاً فهم من بلاد الترك ، من وراء السد »(١) ، وهؤلاء القوم « يأجوج ومأجوج » ضخمةٌ أجسادهم ، غليظةٌ قلوبهم ، شديدٌ بأسهم وتدبيرهم ، فهم أهلُ فسادٍ ، وإفساد في الأرض ، كانوا يقهرون الضعفاءَ ويأخذونَ ما عند الفقراءِ، ويستحلُّون ما حرَّم الله من ألوان الطعام ، والشراب والأموالِ ، ويسفكون الدماءَ في سبيلِ شَهواتِهم ، وملذَّاتِهم .

حتى شاءَ الله تعالى أن يأتي رجلٌ عظيمٌ في مُلكهِ وعِلْمه ، وهو « ذُو القرنَين » (٢)، هذا الملك المؤمنُ الذي دَانتَ (٣) له الأرضُ بإذن الله تعالى ، فقد كان مَلِكاً على الأرضِ ، وقد قال السَّلفُ أنَّ الذين ملكوا الدنيا – بإذن

---

(١) سيأتى الحديث عنه .
(٢) سمى بهذا الإسم لأن ملكه بلغ المشرق والمغرب عند قرنى الشمس .
(٣) دانت : خضعت

الله – أربعة رجال : مؤمنان وكافران ، فأمَّا المؤمنان : «سليمانُ بن داود – عليهما السلام– وذُو القَرْنَين» ، وأما الكافران : « النُّمرود وبُخْتَنَصَّر » .

لقد طاف ذُو القَرْنَين الأرضَ شرقاً وغرباً ، يأمرُ بالمعروفِ ، وينهى عن المنكرِ ، ويؤدِّبُ بسيف الحقِّ كلَّ من شَذَّ عن الهُدَى واتَّبَع غير سبيلِ المؤْمِنِين ، حتى وصلَ إلى مكانٍ بين جبلَيْن عظيمَيْن ، هذا المكانُ بينَ الجبلين كان يخرجُ منه يأجُوجُ ومأجُوجُ على بلاد التُّركِ فيُفْسِدُون في الأرضِ ويقتلون الضعفاءَ ويستولُون على متاعهم ، فقال هؤلاء القومُ الضعفاء لذي القَرْنَين :

﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) ﴾ [الكهف : ٩٤] .

لقد كانَ هؤلاءِ النَّاسِ فقراءَ بسطاءَ ضعفاءَ لا

يستطيعون رَدَّ بأس يَأْجُوجُ ومأْجُوجُ أو الدفاعَ عن أنفسهم وحماية ممتلكاتهم ، وحين رأوْا ذا القَرْنَيْنِ وجدوا فيه ضالَّتَهم المنشودةَ فهرعوا إليه يرجُونه أن يبني لهم سداً بين الجبلَيْنِ العظيمَيْنِ حتى يَسُدَّ الطريقَ على يأْجوجَ ومأْجُوجَ فلا يستطيعون أنَ ينفذُوا إليهم .

ذَو القَرْنَيْنِ يوقفُ زحفَ يَأْجُوجَ ومأْجُوجَ :

ماكانَ من ذي القَرْنَيْنِ الملك المؤمنِ العظيم إلاَّ أنْ يستجيبَ لنداءِ الضعفاءِ ويحمي الفقراءَ فقال لهم : »
﴿ **قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥)** ﴾ .[الكهف : ٩٥] . .

وأخذَ ذُو القرنَيْنِ يبني السَّدَّ وهم يعاونُوهُ ، فجاءَ بقطعِ الحديدِ ووضع بعضَها فوقَ بعضٍ حتى إذا ارْتفعَ بناء الحديدِ ووصلَ إلى مستوى الجبلَيْنِ العظيمَيْنِ أشعلُ فيه النيرانَ من أسفلِه حتى إذا أصبح كلُّهُ كتلةً مشتعلةً جاءَ

بالنحاسِ المصهُور فصبَّه عليه صبَّاً قويَّاً منيعاً .

إنَّ الطريقة التي بنى بها ذُو القرنَيْن هذا السدَّ العظيمَ طريقةً علميةً عظيمةً لم تُكتشَفْ إلا في وقتٍ متأخرٍ ، ممَّا يدلُّ على أن الله عز وجل قد وهبَ ذَا القرنَيْن علماً كبيراً ، وفهماً وحكمةً فلم يستطعْ يأجُوج ومأجُوجُ الصعودَ من فوقِ هذا السَّدِّ أو خرْقه للنَّفاذِ إلى هؤلاءِ القومِ المستضعفين ، وفرِحَ القومُ وحمدوا الله تعالى ، وشكر ذُو القرنْينِ ربَّه على ما وفقّه من خيرٍ وحمايةٍ للضعفاءِ والفقراءِ .

قال الله تعالى عن السَّدِّ :

﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ (١) وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٢) (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾ [الكهف: ٩٧] .

(١) يظهروه : يصعدوا على ظهره .
(٢) نقباً : خرقاً .

أينَ يقعُ هذا السدُّ المنيعُ ؟ .

عـرفنا أنَّ هذا السَّـدَّ في بلاد التُّـركِ وهو بين جـبلَيْنِ عظيـميْنِ بناه ذُو القـرْنَيْن ليَسُدَّا الثَّغَـرَةَ التي كـانت بين الجبلَيْنِ حتى لايجدُ يأْجوجُ ومَأْجُوجُ منفذاً ينفُذُون منه لأولئك الفـقراءِ البسيطاءِ ، فلا يؤذونَهم ولا يقـدرون على التعرُّضِ لهم .

لكنْ أينَ يقعُ هذا السدُّ بالتحديد ؟!! .

إنَّ الإجابة على هذا السُّؤال من الصُّعوبة بمكانٍ حيث أنَّ الله تعالى لم يُخبرْنا في كتابِه العزيزِ بمكانِ هذا السَّدِّ ، وكذلك لم يردْ عن رسول الله ﷺ شيءٌ بهذا الأمرِ ، ولو كان هناك فائدةٌ مباشرةٌ تعودُ علينا من معرفـةِ مكان السَّدِّ لأخبرَنا الله تعالى بمكانِه ، لكنْ هذا لايمنعُ من مطالعةِ الأخبار التي وردتْ بمواصفات قد تكون قريبةً من هذا السَّدِّ ، فقـد أَوردَ الإمام الحافـظ بـن كثير في تفسيره

« ... أنَّ الخليفة الواثق قد بعث بعض أُمَرائه وجهَّز معه جيشاً لينظروا إلى السَّدِّ ويعاينوه ، فسافروا زمناً قرابةَ عامين، ووجدوا سدّاً بناؤُه من الحديد والنُّحاسِ ... » وربما كان هذا ذاكَ السَّدُّ والله أعلم .

وأورد صاحبُ الظِّلالِ في تفسيرِه أنَّه قد تمَّ اكتشافُ سدٍّ بمقربة من مدينة « ترمِزِ » عُرِف بباب الحديد وقد مرَّ به في أوائل القرنِ الخامسِ عشر الميلادي العالم الألماني «سيلزبرجر » وسجَّله في كتابه وكذلك ذكره المؤرخُ الأَسبانيُّ « كلافيجو » في رحلته سنة ١٤٠٣م وقال : «إنَّ سدَّ مدينةِ بابِ الحديدِ على الطَّريقِ سَمَرقَندْ والهند ... » ، وربما كان هذا هو السَّدُّ المقصودُ،والله تعالى أعلم.



يأجوج ومأجوج
يخرجون مرة أخرى

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) ﴾

[الكهف : ٩٨] .

وقال أيضاً : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ (١) ﴾ .

[الأنبياء : ٩٦ - ٩٧] .

يُخبرُنا الحقُّ تباركَ وتعالى أنَّه ومعَ اقترابِ يوم القيامة ، سوف يأذنِ الله بهدمِ ذلك السَّدَّ ، ويخرجُ يأجُوجُ ومأجُوجُ على النَّاس من كلِّ حَدَبٍ (٢) .

وقال رسول الله ﷺ بعد أن استيقظ من نومة ذاتَ مرة

(١) الوعد الحق : يوم القيامة .
(٢) حدب : مكان مرتفع .

وهو مُحمَرٌّ وجهه قال : « **لا إله إلا الله ، ويلٌ للعرب من شر قد اقتربَ ، فُتحَ اليوم من ردمِ يأجُوجُ ومَأجُوجُ مثلُ هذا ، وحلَّق بإصبْعيه السَّبابة والإبهامُ** ، قالتْ أمُّ المؤمنين زينبُ : قلتُ : يا رسول الله أَنُهلكَ وفينا الصالحون ؟! ، **قال : نعمْ إذا كثُر الخبثُ** » (١) .

وحين يخرجُ يأجُوجُ ومَأْجُوجُ يخرجُون مسرعين كالكلاب المسعورةِ متزاحمينَ ، يهجمُون على النَّاس بشراسةٍ في مشهدٍ مخيفٍ ، ويخافُ النَّاسُ من هول المفاجأةِ وعدم الإستعدادِ لملاقاتِهم وهم أُولي بأسٍ شديدٍ ، فيحتمي النَّاسُ منهم بالحصُون ويستولى يأْجُوجَ ومَأجُوجَ على كل ما يقابلهم من أمتعةٍ للنَّاسِ ، ويأكلون ويشربُونَ بشراهةٍ كالوحُوش الضارية ، ويدعو النَّاسُ الله عز وجل أن يخلصهم من شرِّ هؤلاءِ الهمجِ المتوحشين ، فيبعث الله

---

(١) رواه الإمام أحمد .

عليهم جنوداً من جنوده ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر : ٣١] .

تُرى ما هذه الجنودُ التي يبعثها الله علهيم لتفتك بهم؟! ، إنها جراثيمٌ صغيرةٌ تكادُ لا تراها العينُ ، تأكلهمُ من أعناقِهِم ، فلا تتركهم إلا وهم صرعَى كأنَّهم أعجاز نخلٍ منقعِر، فيموتون وتتعفن أجسادُهم ، ثمَّ يبعث الله عليهم طيراً كثيراً تحملهم فتطرحهم حيثُ شاءَ الله بعيداً عن طريق النَّاس ، فيكفيهمُ الله أذاهم و نتن رائحتهم ، وهذا يكونُ فيه العبرةُ والعظةُ للمؤمنينَ .

وفي حديث الدجال قال عليه السلام : « ... فبينما هُم كذلك إذ أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى عيسى : إِنِّي قد أخرجْتُ عباداً لي لا يدانُ لأحدٍ بقتالهم فحرِّرْ عبادي إلى الطُّور ، ويبعث الله « يأْجُوجَ ومأْجُوجَ » وهم من كلِّ حدبٍ ينسلونَ ، فيمرُّ أولهُم على بحيرةِ

طَبَرِيَّة فيشربُون ما فيها ، ويمُرُّ آخرهم فيقولون :

لقد كان بهذهِ مرةً ماء ، ويحضُر نبيُّ الله عيسى وأصحابه حتى يكونَ رأس الثوْرِ لأحدِهم خيراً من مائة دينارٍ لأحدكم اليومَ ، فيرغبُ نبيُّ اللهَ عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغَفَ في رقابهم فيصبحُون فرسى [1] ، كموْتِ نفسٍ واحدةٍ ، ثم يهبطُ نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضعَ شبرٍ إلا ملأهُ زهمُهُمْ ، ونتنهُم ، فيرغبُ نبي الله عيسى وأصحابُه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البُخْتِ فتحمَلهُم فتطرَحُهم حيثُ شاء الله ، ثمَّ يرسلُ الله مطراً لا يكنْ منه بيتَ مدر ولا وَبَر فيغسلُ الأرضَ حتى يتركَها كالزلَفة [2]، ثم يُقالُ للأرضِ أخرجِ ثمرَكَ وردِّي بركتَك ، فيومئذ تأكلُ العصابةُ [3]، مِنْ الرُّمانَةِ ويستظلُون بِقَحْفِهَا ، ويبارِكُ الله

---

(١) فرسى : موتى .

(٢) كالزائفة : كالمرآة .

(٣) العصابة : الجماعة .

في الرسْلِ (١)، حـتى إنَّ اللقَم (٢) من الإبلِ لتكفي الفِئَامَ (٣) مِنْ النَّاسِ ، فبَيْنَما هُم كذلك إذْ بعث الله ريحاً طيبةً فتَأخذهم تحت آباطِهِم ، فيقبض الله روحَ كلِّ مؤمنٍ وكلِّ مسلمٍ ويبقى شرارُ النَّاسِ يتهارجون (٤)، فِيها تهارُجَ الحُمُرِ ، فعليهم تقومُ السَّاعةُ » (٥) .

إذاً فإنَّ ظهور يَأْجُوجَ ومأْجُوجَ يكونُ بعد نزول عيسى عليه السلام إلى الأرضِ وقتل المسيحِ الدَّجَّالِ واقترابِ موعد السـاعـة ، وإنَّ يأْجُوجَ ومَأْجُوجَ هم من الكثرةِ بحيث يكثِرونَ أهل النَّار ، فيبلغُ عددُهم مبلغاً عظيماً من بني آدمَ ، قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى يومَ القيامة يقول : يا آدمُ ، فيقول : لبيكَ وسعْدَيكَ ، فيقول : ابعث بعثَ النَّارِ ، فيقولُ : وما بعْثُ النَّار ؟ فيقولُ : من**

---

(١) الرسل : القطيع . (٢) اللقمة : ذات اللبن .
(٣) الفئام : الجماعة . (٤) يتهارجون : يتقاتلون .
(٥) رواه مسلم وأحمد وأهل السنن .

كلُّ ألفٍ تَسعمائةٌ وتسعةٌ وتسعُون إلى النَّار ، وواحدٌ إلى الجنَّة ، فحينئذٍ يشيبُ الصغيرُ ، وتضَعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حَملَها ،فقال : إنَّ فيكُم أمَّتيْن ما كانتا في شيءٍ إلا كثَّرتاهُ ، يأجُوجُ ومأجُوجُ » (١) .

وكما انتهتْ حياةُ يأجُوجَ ومأجُوجَ في الدُّنيا بالعذابِ والمرضِ والبلاءِ كذلك فإنَّهم يومَ القيامةِ هم من المقبُوحين ، المخذُولين ، استحقوا العذَّابَ بكفرهم بالله وإفسادهم في الأرضِ ، فبئس المصيرُ .



(١) رواه البخارى ومسلم .

العِبَرُ والعِظَاتُ :

[١] الملكُ العادلُ هو من يحمي الضعفاءَ،ويأخذُ من الأغنياءِ حقَّ الفقراءِ ويؤدِّبُ بسيفِ الحقِّ المفسدين الأغبياءَ، ويكونُ له القدوة في « ذي القَرْنَين » عندما قال: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾[الكهف : ٨٧ - ٨٨] .

[٢] عدمُ الرضا بالظُّلمِ ومحاولةِ التخلُّصِ منه قدرَ الاستطاعة وهؤلاءِ القومِ البسطاءُ عندما رأوْا ذَ القرنيْنِ وجّهُوا له استغاثةً عاجلةً ليَحْميْهُمْ من بطشِ يأْجُوجَ ومأْجُوجَ ، ودلُّوه على أحْسَنِ طريقةً للتخلُّصِ مِنْ بطشهم وهي بناءُ السَّدِّ بين الجَبَلَيْنِ العَظِمَيْنِ حتى لا يسْتطِيعُوا أنْ ينفذُوا إليهم ، وقد

حدث فِعلاً ما تَمَنَّوْه بإذن الله تعالى .

[٣] الإهتِمامُ بالعلمِ والأَخْذُ بأساليبِ التطورِ وأدوات المعرفةِ الحديثة ، وهذا ذُو القَرْنَيْن كان عنده عِلمٌ عظيمٌ يدلّ على ذلك طريقةُ بنائه للسَّدِّ التي أوضحناها آنِفاً (١) .

[٤] شُكْرُ الله تعالى عند النجاحِ في أي أمرٍ ، وإرجاعُ الفضْلِ كلهُ لله ، وهذا ذُو القَرْنَيْن بعد أنّ نجح في بناءِ السَّدِّ العظيمِ ، ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) ﴾ [الكهف: ٩٨]، ولا يقولُ الإنسانُ مُفتخراً مُنكراً فضلَ الله عليه – لقد نجحت بمجهودي وبتَعَبي.. كلاَّ ، فلولا فضلُ الله ما أفلح.

[٥] أنَّ الله سبحانه وتعالى يعاقبُ الظالمين عِقاباً

---

(١) آنفاً : سابقاً .

شديداً، وقد يمهلهمْ قليلاً ، ولكنَّه لا يهملهم ، بل لهم موعدٌ لا مردَّ له من الله ، وقد يكونُ عقابُهم بشيء بسيطٍ أو تافهٍ في نظر النَّاسِ كما كان عقابُ يَأجُوجَ ومَأْجُوجَ ، لكِنْ هذا الشيء يكونُ فيهِ هلاكُهم وعذابُهم .

أسئلة :

[١] اذكر الصفاتِ الخُلُقيّةَ والخِلْقيّة لقومِ يأْجُوجَ ومأْجُوجَ ؟ .

[٢] كيف استطاع ذُو القَرْنَيْن أنْ يوقفَ زحفَ يأْجُوجَ ومأْجُوجَ ؟! .

[٣] ذُو القَرْنَيْنِ رفعَ القومَ الضعفاءَ إلى العمل والاعتمادِ على النَّفس والتوكّلِ على الله... كيف؟! .

[٤] متى يُهدمُ سدُّ يأْجُوجَ ومَأْجُوجَ ويخرجُون على النَّاس؟! .

[٥] ماذا كانَ مصيرُ يأْجُوجَ ومَأْجُوجَ في الدُّنيا ؟ ، وكيف يكونُ مصيرهُم في الآخرة ؟!! .



قصة هَارُوتَ ومَارُوتَ

قال الله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) ﴾

[البقرة : ١٠١ – ١٠٢] .

هارُوت ومَارُوت

تحدَّثَ القرآنُ الكريمُ عن قصةِ « هاروت وماروت » في معْرِضِ الحديثِ عن « اليهود » وتكذيبِهم آياتِ الله البيناتِ والمنزلة على قلب محمد بن عبد الله ﷺ ، رسول الله إلى النَّاسِ كافةً ، بشيراً ونذيراً ثمَّ إتهامِهم لنبيِّ الله سليمانَ عليه السلام بالسِّحْرِ ، وقد برَّأ الله تعالى نبيَّهُ سليمانَ عليه السلام من هذا الاتهامِ الباطل ، قال تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ ، ولكنَّ « هاروتَ ، وماروت » منْ يكونا ؟ هلْ هُما بشراً ؟ أمْ ملائكةً ؟ أمْ من الجانِّ ؟!! .

ذهبَ غيرِ وأخذِ من السَّلف أنَّ « هاروت وماروت » ملكانِ أنزلَهُما الله تعالى حتى يكونَا فتنةً للناس واختباراً لهم ، فيعلمون من أراد من النَّاس من السِّحْرَ ، وذلك بعد

أنْ يعظُوه ، ويقولانِ له ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ ﴾ .

وذهبَ آخرُون من السَّلفِ أنَّ « هاروت وماروت » هما رجلان من البشَرِ مكانَهُما « بابل » وقد تعلَّما فنونَ السحْرِ من الشياطين وهما يعلِّمان النَّاسَ السِّحْرَ ، وكيف يفرِّقون بينَ المرْءِ وزوْجِهِ ، لأنّ التفريق بين الزوجيْنِ هدفٌ أسمى وغايةٌ أعلى للشيطان .

يقول رسول الله ﷺ : « **إن الشيانَ ليضعُ عرشَهُ على الماءِ ثمّ يبعثُ سراياه في النّاسِ، فأقربهم عنده منزلةً أعظمهُم فتنةً ، يجيئُ أحدُهُم فيقول : ما زلت بفلان حتى تركتهُ وهو يقول كذا وكذا ، فيقول إبليسُ: لا والله ما صنعت شيئاً ، ويجيئُ أحدُهُم فيقولُ: ما تركتُه حتى فرَّقتُ بينهُ وبين زوجته ، قال : فيقرِّبُه ويُدْنيه ويلتزِمُه (١) ويقول : نعمْ أنْتَ** » (٢)

---

(١) يلتزمه : يحتضنه .

(٢) رواه مسلم .

وكما نعلمُ أنَّ نبيَّ الله سليمانَ بن داود – عليهما السلام– أعطاهُ الله من المُلْك ما لمْ يُعطِ أحداً من العالمين، فقد سخَّر الله له الرياحَ والإنسَ والجنَّ وأعْلَمَه لغةَ الطير والحيوان ، قال الله تعالى عن سليمانَ : ﴿ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾[النمل: ١٦] ، فكان سليمان عليه السلام يستخدمُ الجانَّ في بناءِ المساجدِ والمعابدِ ، والقصور والآلاتِ الحربية وغيرها من الأمور الهامَّة بالنسبةَ للمُلْك ، قال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ : ١٢–١٣] .

وكـانَ الجنّ يخـدعـون النّاس ويُوهمُـونَهُم أنّهم يعلمُـونَ الغيبَ ، حينَ كـانوا يصـعَدُون إلى السـماءِ فيـستـمعونَ إلى حـديثِ الملائكة وبعـضـهِم البعض ، فيعلمون ما سوف يحدُثُ في الأرضِ بعد قليلٍ فيخْبِرون أولياءَهُم من الإنْسِ فيظنُّون أنّهم يعلمونَ الغيبَ ، ولا يعلمُ الغيب إلا الله .

ولقد ظلت الجنُّ تسترقى السمع في السماوات وتسمعُ ما يدورُ بين الملائكة إلى أنْ أذنَ الله تعالى ببعْثة النبيِّ محمد ﷺ ، ومنذ ذلك الحين لم يستطعْ شيطانَ الإقترابَ من السماءِ ، فإنِ اقتربَ تبعهُ شهابٌ ثاقبٌ فيكادُ يحرقُه فلا يعودُ مرةً ثانيةً .

يقولُ الله تعالى عن الجنِّ : ﴿ **وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا** ﴾

[الجن : ٩] .

وإنَّ نبيَّ الله سليمانَ عليه السلام كانَ يعلمُ أن الجنَّ يسترقون السمعَ ويُخبْرون النَّاسَ بذلك ، فكان يؤدِّبهم ويمنعُهم ، ويخبرُ النَّاس أنْ لا يعلمُ الغيب أحدٌ إلا الله تعالى ، وكان لسليمانَ رجلٌ يسمَّى « آصف » كان يكتُب ما يُمْلى عليه سليمان من العلم ويدفنهُ تحت كرسيِّ سليمانَ عليه السلام بأمرٍ منْهُ ، وكان هناك الجنُّ يتربَّصُون أنْ يغفلَ سليمانُ لحظةً فيستولُون على تلك الكتبِ من تحتِ الكرسيِّ ، ولكنَّ الله حمى تلك الكتب في حياةِ سيِّدنا سليمانَ عليه السلام فكان من يحاولُ الاقترابَ من كرسيِّ سليمانَ من الجنِّ يَحْترقُ ، وبينما الجنُّ يشتغلُون ، ويبنون ويشيِّدُون المعابدَ والمساجد بأمرِ سليمانَ عليه السلام ، وهو جالسٌ على كُرْسيِّهِ يستندُ ويتكئُ على عصاهُ، إذْ جاءهُ ملكُ الموتِ ، لقد حانَ وقتُ الفراقِ ، فراقِ الدُّنيا ، واللحوق بالرفيق الأعلى ...

مات سليمانُ عليه السلام وهو جالسٌ على كرسيِّه يتَّكئُ على العصا ، وظلَّ على العصا ، وظلَّ هكذا وقتاً طويلاً ، والجنُّ يشتغلُون ويعملونُ ، حتى جاءت دابَّةٌ من الأرضِ وأخذتْ تنخرُ في العصا حتى أكلتْ قلبَ العصا ، فخرَّ سليمانُ على الأرضِ ، فانتبهتِ الجنُّ فرأوْه قد وقع ميتاً ، ولما نظروا إلى العصا ووجدُوا أنَّ الأَرَدَةَ قدْ أكلْتها عَلمُوا أنَّ سليمانَ قد مات منذ وقتٍ طويل ولم يمُتْ في تلك اللحظة التي وقَعَ فيها ، وعرِفَ النَّاسُ حقيقةً أنَّ الجنَّ لا يعلمون الغيب .

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤) ﴾ [سبأ : ١٤] .

وبعد موتِ سليمانَ عليه السلام وجدَ الجنُّ ضالَّتَهُم ،

وفرحوا بموتِهِ فقد كان يأخذُهم بسيفِ الحقّ مؤدِّباً ومعلّماً ، وأوحى الشياطينُ إلى أوليائهم من الإنسِ أن يستخرجُوا كتابَ سليمانَ من تحتَ كرسيِّه ، ثمَّ أخذوه فزادوا عليه كلاماً كثيراً كلُّه كفرٌ وسحْرٌ وشعوذةٌ ، ثمَّ وقف الشيطانُ خطيباً في النَّاس - في صورةِ رجلٍ - وقال: أيُّها النَّاس إنَّ سليمانَ لم يكنْ نبيّاً ولكنَّهُ كان ساحراً ، وهاكُمْ كتابَه الذي كانَ يسخِّرُ به الشياطينَ ويكلِّمُ به الطيرَ ، ثمَّ أخرجَ الكتابَ الذي حرَّفَهُ الشياطينُ وزادوا فيه الباطلَ والكفرَ والسحرَ ، ولكنَّ المؤمنينَ عرفوا أنَّهُ كذَّابٌ ، وقالوا : إنَّ هذا الرجلَ كذابٌ ، لقد كان سليمان عليه السلام نبيّاً صالحاً، ولم يكنْ ساحراً ، ولكنَّ جُهَّالَ النَّاسِ، وأصحابَ القلوبِ المريضة ، تبعوا ذلك الرجل وأخذوا الكتاب الذي هو باطلٌ ، وأَخذوا يتعلَّمُون السِّحْرَ ويعلّمونَه من يكفُرُ من النَّاس،ولقد زعم اليهودُ

بكفرهم أنَّ الله أنزل على جبريلَ وميكائيلَ السِّحْرَ ليعلِّمانه سليمانَ عليه السلام وهذا لم يكنْ ليحْدُثَ أبداً لأنَّ جبريلَ عليه السلام رسولَ الوحي من الله تعالى وكيف يُنزلَ الله عليه سِّحْراً ليعلِّمه نبيّاً ؟! ، إنَّ هذا هراءٌ وتحريفٌ خسأ أعداءُ الله بما كانوا يفترُون ، وذلك لأنَّهم اتبّعوا الكتابَ الذي حرَّفتْهُ الشياطَينُ ووضعتْ فيه كلاماً ما أنزل الله به من سلطانٍ ، وكان السببُ في اتِّباعِهم ذلك الكتابِ المحرّف وأنَّهم حين بعِثَ رسولُ الله ﷺ نظروا في التوارةِ كتابِهمُ المقدَّسِ فوجودا أنَّ الرسولِ حقٌ وأنَّ ما جاءَ به هو الحقُّ وأنَّ أمَاراتِهِ وعلاماته المكتوبةَ عندهم في التوارةِ هِيَ هِيَ التي يتصفُ بها رسولُ الله ﷺ ، ولحقدهم وحدَهم تركُوا التوارةَ واتَّبعُوا ما تتلوا الشياطينُ على مُلْكَ سليمانُ ، أي ذلك الكتاب الذي وضعتْهُ الشياطينُ زيادةً على ما كتب صاحبُ سليمانَ من كلام الوحي الإلهيٌّ .

لقد فضح الله أمرهم في القرآن الكريم حيث قال:
﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

ومعنى الآية الكريمة : أنَّ هؤلاء اليهودَ قد تركوا (١)، الدينَ الحقَّ الذي جاءَ به محمدٌ ﷺ واتبعوا ما فعلت الشياطينُ من السحْرِ وما كتبتهُ وادَّعتْ ظلماً وزوراً أنَّ

(١) كان اليهود يقولون للأوس والخزرج فى المدينة قبل بعثة النبى ﷺ أن هناك نبي قد أظل زمانه سوف نتبعه ونقاتلكم قتل عاد وإرم ، وكانوا يرجون أن يكون النبى منهم ، فلما كان من العرب كفروا وكذبوه ولم يؤمنوا به .

ذلك لسليمانَ عليه السلام، وما كان ذلك لسليمانَ ولكنَّهم بدّلوا وغيّروا فكفروا، ولكنَّ سليمانَ لم يكفُرْ وإنّما كانَ نبيّاً صالحاً، وما أُنزلَ على الملكينِ جبريلَ وميكائيلَ من شيءٍ من السحْرِ وإنّما هاروتُ وماروتُ هما اللذان كانا يعلّمان النّاسَ السحْرَ ببابلَ، وأنَّ اليهودَ قد خسروا خُسراناً مبيناً باتّباعِهِم هذا الباطلَ وتركِهم دينَ الحقِّ، فبئْسَ ما باعوا به أنفسهم.

هذا وإنَّ اتّهام اليهودِ سليمانَ عليه السلام بأنه ساحرٌ فوق أنَّ إتهامٌ باطلٌ فإنّه اتّهامٌ قديمٌ، أُتهِمَ به كثيرٌ من الرسلِ السابقين مثلُ موسى عليه السلام، فقد كان السحْرُ قديماً قبل سليمان عليه السلام بزمنٍ طويلٍ، لكنَّ اتّهامَ سليمانَ عليه السلام بالسِّحْرِ كانَ ينبعُ من حقد الشياطينِ وكيدهم لأنَّه كان يأخُذهم بسيفِ الحقِّ، ويؤدِّبُ من ضلَّ منهم، وكان يفنِّدُ شكوكَهُم ودعواهُم الزائفة ويبيِّنُ للنَّاسِ كَذِبَهُم وافتراءَهُم.

إنَّ ذلك الإتّهامَ هو حلقةٌ في سلسلة اتّهاماتٍ كثيرة وجهها اليهودُ لأنبياء كثيرين ، فكانوا كلما جاءهم ﴿ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٧] ، وليس هذا مع أنبيائِهم فحسبْ ؛ بل ومع علمائِهم وأحبارِهم .

وهذا عبدُ الله بن سلاَم أحدُ أشهرُ علمائِهم لننظرَ ماذا يقولُون عنه :

عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : سمعُ عبد الله بن سلام بمقْدمِ رسول الله ﷺ ، فقال : إنِّي أسألُكَ عن ثلاث لا يعلَمُهنَّ إلا نبيٌّ: ما أولُ أشراط السَّاعة ، وما أول طعامِ أهلِ الجنَّةِ ، وما ينزِعُ الولدُ إلى أبيه أو إلى أمّه ؟.

قال رسول الله ﷺ : « **أخْبَرني بهذه جبرائيل آنفاً** » ، قال عبدُ الله بن سلام : جبريلُ ؟! ، قال عليه السلام : **نعم** ، قال عبدُ الله ابن سلام : ذاك عدُوُّ اليهود من الملائكة ،

فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴿٩٧﴾ ﴾ [البقرة : ٩٧] ، ثم قال عليه السلام : « **فأمَّا أوَّلُ أشراطِ السَّاعةِ فنارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ من المشرقِ إلى المغربِ ، وأمَّا أوَّلُ طعامِ أهلِ الجنَّة - في الجنَّة - فزيادةُ كبِدِ الحُوتِ ، وإذا سبقَ ماءُ الرجلِ ماءَ المرأةِ نزع الولد ، وإذا سبقَ ماءُ المرأةِ نزعتْ** » .

قال عبد الله بن سلام : أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وأنَّك رسول الله ، ثم قال : يا رسول الله إنَّ اليهودَ قومٌ بُهْتٌ ، وإنَّهم إنْ يعلمُوا بإسْلامِي قبل أنْ تسألَهم يُبهتُوني ، فجاءت اليهودُ فقال لهم رسولُ الله ﷺ : « **أيّ رجلٍ عبد الله بن سلام فيكم ؟!** » ، قالوا : خيرُنا وابنُ خيرنا ، وسيِّدُنا وابنُ سيِّدِنا ، **قال** : « **أرأيتم إنْ أسلَم ؟!** » ، قالوا : أعاذهُ الله من ذلك ، فخرجَ عليهم عبدُ الله بن سلام فقال :

أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله ، فقالوا : هو شرُّنا وابنُ شرِّنا ... » [١] .

فانظرْ كيف تبدَّلَ رأْيُهم في أحدِ علمائهم « في لحظة» حينَ علمُوا بإسْلامِهِ !! .

(١) رواه البخارى ومسلم واللفظ للبخارى .

العِبَرْ والعظات :

[١] أنَّ اللهَ تعالى حرَّم السِّحْرَ ، أو أنْ يأتىَ أحدٌ منالنَّاسِ الساحر ليسألَهُ عن شيءٍ أو يصدِّقُه بما يقول ، قال ﷺ : « **من أتى كاهناً أو ساحراً فصدَّقُهُ بما يقولُ؛ فقد كفر بما أُنْزِلَ على محمدٍ** » (١)، ولقد كتبَ عمرُ ابن الخطَّابِ رضي الله عنه أن اقتلوا كلَّ ساحرٍ وساحرةٍ (٢) .

[٢] أنَّ السحْرَ لا يضرُّ أحداً إلا بإذْنِ الله تعالى ، فهو من قدَرِ الله ، والساحرُ لا يستطيعُ أَنْ يؤذِىَ إنساناً إلا إذا كان الله تعالى قد قدَّرَ له ذلك الأمر ، قال تعالى :
﴿ **وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ .

[٣] المحافظةُ على الأذكار النَّبوِّية ، والأدعية المأثورة ، وقراءةُ آيةَ الكرسِّ قبلَ النَّومِ ، والدُّعاءُ ، وقَراءةُ سورةِ

(١) رواه البزار بسند صحيح .
(٢) رواه البخارى .

الإخلاص والمعوذتين .

[٤] أنَّ السحرَ أنواعٌ كثيرةٌ ، فمنه سحرُ الأعيْنِ بمعنى أنَّ الشيءَ لا يتغيَّرُ ولكنَّ الساحرَ يسحرُ أعينَ النَّاسِ ليَرْوا غيرَ الحقيقة كما فعل سحرةُ فرعَونَ ، قال الله تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) ﴾ [الأعراف : ١١٦] ، ومنه السحرُ عن طريق الاستعانة بالجانِّ ليسهلَ للساحرِ بعضَ الأمور التي يعجزُ عنها، وغيرُها من أنواعِ السحْرِ وكلُّها من الموبِقات ومن الكبائر ، ومن اعتقدَ حِلَّ السْحرِ فهو كافرٌ بإجماع المسلمين .

[٥] الكتبُ السماويَّةُ السابقةُ تعهَّد أتْباعُ الرُّسُلِ بحفظها ولكنَّهم ومع مرورِ الزمن لم يرعوْها وتمَّ تحريفُها فلَمْ تبقَ كما هي ، بينما القرآنُ الكريم تعهَّد الله عزَّ وجلَّ بحفظِهِ ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر : ٩]، فهو باق إلى قيام السّاعةِ لا يَلْحَقُهُ تبديلٌ ولا تحريفٌ ولا تزييفٌ .

[٦] الإسلامُ يحررُ العقلَ ، ويُحثُّ على التّعلّمِ ، وينبذُ الجهلَ والخرافاتِ ، ويدعو للتفكرِ و إعْمالِ العقلِ في ايات الله ، لذلك فهو يحرمُ السحْرَ لأنَّ السحر لا يَخْدمُ الإنسانُ في هذه الناحية ، فضلاً عن ضرره الكبير بالإنسان ، واعْتقَادِ من يتعلَّمهُ النفع والضَّرَّ فيما سوى الله، وهَذَا شِركٌ عظيمٌ.

[٧] أشدُّ أَعدا المسلمين اليهودُ ، لأنَّهم يعلمونَ الحقَّ ، ولا يتبعونه فهم يُدْرِكُون تماماً صدْقَ رِسالة محمدٍ ﷺ ، فهم يحْقدُونَ على المسلمينَ ويَحسُدُونَهم ويكيدُون لَهُم ، ويتربَّصُون بِهمُ الدَّوائِرُ ، فلنحذرْ مكائِدهُم ، وحيلَهُم وتدبِيرهم .



أسئلة :

[١] ماذا وهبَ الله سُليمَان عليه السلام من المُلْك ؟ .

[٢] كـيـف أقنعَ الجنّ أوليـاءَهُم مِنْ الإِنْسِ بأنهم يعلُمون الغيب ؟! .

[٣] لِماذَا حرَّم الله السحْرَ ؟ .

[٤] كيف استْبَانَ للنَّاسِ أنَّ الجِنَّ لا يعلمُون الغيب ؟!.

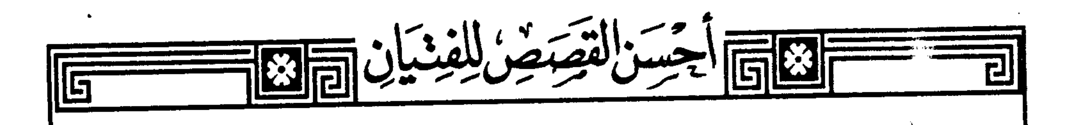
[٥] من « هاروتُ وماروتُ » وماذا كانا يعلّمانِ النَّاس ، وماذا كانا يقولانِ لَهُم .

[٦] لماذا تمَّ تحريفُ الكتبِ السماويّةِ السابقة ؟! .

[٧] اذكرْ صفاتِ اليهودِ التي تعلَّمْتَها من القصَّة .

[٨] لماذا كانَ اليهودُ أشدَّ أعداءِ المؤمنين ؟! .





فهرس

فهرس

رقم الصفحة

